الفصل الأول

الهانزا واتحاد المدن الألمانية

1- التعريف بمعنى الهانزا، وتطور المصطلح في أوربا.
2- الأسباب التي أدت إلى اتحاد المدن الألمانية، والقوانين المنظمة لها.
3- تجنب الصراع الحربي بين المدن الألمانية، وأثره على نمو الهانزا.

الفصل الأول

الهانزا واتحاد المدن الألمانية

1- التعريف بمعنى الهانزا، وتطور المصطلح في أوربا :

قبل تناول الحديث عن العصبة الهانزية Hanseatic League، ونشأتها بالتفصيل لابد أن نقف بداية على حقيقة مفهوم الهانزا Hanse، لنتعرف على معناه لأن هذه التسمية غير مؤكدة[1]. فالعلماء اختلفوا فيما بينهم حولها وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما يلي:

يذكر زيمرن Zimmern: أن أصل نشأة الهانزا، يكتنفه بعض الغموض فقد تم العثور على هذا المصطلح في ترجمة العالم أولفيلاس Ulfilas القوطية للإنجيل، ووجد في هذه الترجمة شرحاً يوضح أنه مجتمع أو اتحاد من الرجال المقاتلين. وأنه تم إطلاقه على مجموعة الرجال الذين توجهوا للقبض على السيد المسيح في حديقة الجثمانية[2]. وفي وقت لاحق استخدم اسم الهانزا، للتعبير عن الضرائب المفروضة على المعاملات التجارية، وكذلك المبالغ التي تدفعها مختلف المدن كرسم للدخول في العصبة أو الاتحاد[3]. ولعل هذا يتوافق مع ما ذكره البعض من أن لفظ الـ Hansa يعني اتحاداً أو مجموعة من الرجال وبخاصة إذا كانوا من التجار أو المحاربين[4].

اختلف معنى كلمة الهانزا Hanse من مكان لآخر، فنجدها في الفلاندرز Flanders،

---

(1) Colvin, (I. D.), The Germans in England 1066-1598, London, 1915, P. 33

(2) يعتقد المسيحيون أن اليهود قاموا بالقبض على السيد المسيح في هذه الحديقة وقاموا بقتله وصلبه؛ إلا أن هذا المعتقد غير صحيح، إذ أن من قام اليهود بقتله وصلبه لم يكن سيدنا عيسى عليه السلام (السيد المسيح)؛ وإنما شبه لهم؛ بينما سيدنا عيسى رفعه الله إلى السماوات العلا وسوف ينزل بالقرب من يوم القيامة ليكون آية وعلامة على قربها كما جاء التأكيد على ذلك في أكثر من موضع من القرآن الكريم. عن ذلك انظر:
- القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 55.
- القرآن الكريم، سورة النساء، الآيات من 157-159.
- القرآن الكريم، سورة الزخرف، الآية 61.

(3) Zimmern, (H.), The Hansa towns, Florence, 1889, P.46.

(4) سعيد عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، جـ1، ص 597، حاشية 85؛ نعيم فرج، الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، ص148.

تعنى مجموعة الرسوم والضرائب التي يفرضها تجار المدينة؛ بينما في ألمانيا كانت تعني الرسوم أو الضرائب التي يفرضها السيد على التجار الأجانب و المحليين[1]. على هذا المعنى الأخير فإن حدث أي شغب من تلك المجموعات فإن السلطة الحاكمة كانت تتخلص من بعضهم. مثلما حدث عند قيام رئيس أبروشيه بريمن Bremen[2]، بالتخلص من مجموعات منهم عندما اقترفوا سلوكاً سيئاً وأعمالاً مؤذية وانتهاكاً للقوانين مما سبب أضراراً لأهل المدينة، كما أعلن عدد كبير من القادمين بسفنهم إلى شواطئ المدينة أنهم قد أضيروا من هذه التصرفات، لذا فقد قام رئيس الأبروشيه بالتخلص من بعضهم، وهم من كانوا يعرفون بـ Sleischat أو Hanse نزولاً على طلب المواطنين ورغبتهم[3].

يذكر بوستان Posten، أن عبارة "هانزا الألمانية" German Hanse كانت متداخلة وظلت تستخدم في عام 760هـ/ 1358م، عندما قام مفوضو المدن الألمانية، بالاجتماع في لوبيك Lübeck، لتبني سياسة مشتركة كرد فعل على الانتهاك المزعوم للامتيازات التي يتمتع بها التجار الألمان في الفلاندرز. وفي السنوات الأخيرة، تم تأسيس اتحادات جديدة بانتظام، ومن ثم تحولت

(1) The Hanse, in: Cave, Coulson, A Source Book, P. 218.
- Zimmern, The Hansa towns, P. 46.

(2) بريمن Bremen: كانت بريمن- الواقعة شمال ألمانيا- واحدة من أعظم المدن التجارية في شمال أوربا، وكان التجار والمبشرون يخرجون منها في عدة اتجاهات. ومع ذلك كانت مشتركة مع أسقفية هامبورج المجاورة، والتي هاجمها السلاف فدمروها أكثر من مرة. بعد ذلك وفي القرن التاسع، أصبح مقر الأسقفية في بريمن لدواعي أمنية، ولمدة ثلاثمائة عام ظلت أسقفية بريمن- هامبورج تحمل لواء الأعمال التبشيرية في كافة مناطق الشمال، ولها السيادة على كل البعثات في اسكندنافيا وشمال غرب روسيا وأيسلندا وجرين لاند. ومع ذلك انفصلت الأسقفيتان عن بعضهما في عام 1105م. عن ذلك انظر:
- محمد السيد صديق رشوان الشريف، **منظمة الفرسان التيوتون في شرق أوربا (دراسة في التاريخ السياسي والعسكري) 1226-1466م**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة سوهاج، 2006، 2007م، ص2، حاشية (2). لمزيد من التفاصيل انظر:
- Kaljindi, Linda, Waiting for the Barbarians: The Imagery, Dynamics and Function of the Other in Northern German Missionary Chronicles, 11th 13th Centuries, Tartu, 2005, PP. 6-7, 29-31.

(3) Sartorius, (G. F.), Urkundliche Gescichte des uresprunges der Deutschen Hanse, E d. Lappenberg, J. M., Vol. II, Hamburg, 1830, A. D. 1181, P.8.

الرابطة الهانزية، من نقابة Gild تجارية إلى اتحاد مدن[1].

يظهر لنا من حديث بوستان، أن لوبيك التي تزعمت الرابطة أو العصبة، في فترة نموها وازدهارها في القرن الرابع عشر الميلادي لم تكن تسمح بخروج أو انتهاك، وذلك حفاظاً على مصالحها وهو ما دفعها إلى اتخاذ مواقف حازمة ضد الفلاندرز، كما سنرى ذلك بوضوح فيما بعد.

ولقد أكد كولفن Colvin، على ما ذكره بوستان، قائلاً أن أقرب إشارة إلى مصطلح الهانزا الألمانية، الذي ورد في وثيقة عام 760هـ/ 1358م، بشأن منع التداول أو وقف التجارة مع الفلاندرز، والتي صدرت ضدها من لوبيك؛ ولكن قبل فترة طويلة تم استخدام كلمة الهانزا في إنجلترا لوصف اتحاد مدني أو تجاري[2]. وافترض أن يكون هذا الاسم متصلاً بالكلمة المستخدمة في اسكتلند Scotland، حتى يومنا هذا – Hansel– وهو ما يعني هدية للتوقيع على الصفقة. هذا وقد يكون هذا الاسم قد وصل من إنجلترا، وأنه على يقين من أن العصبة أو الاتحاد، تعبر عن نفسها على أنها مجرد Germane State (المدن المتحدة أو المشتركة)، وأن التجار بها يمثلوا عمليات الشراء العامة[3].

---

(1) The Cambridge economic History of Europe, Vol. III, Economic organization and Policies in the Middle Ages, Cambridge, 1965, P. 111.

(2) The Germans in England, 1066-1598, P. 33.

- لقد أصبح التجار الألمان، عاملاً هاماً في تجارة انجلترا الخارجية؛ بل أصبحوا شخصيات مألوفة في لندن London، قبل بداية القرن الرابع عشر الميلادي. وبلغ أولئك التجار من الثراء والاستقرار بنقابتهم Hans الخاصة بهم في لندن، وبالغرفة التجارية Guild Hall، الخاصة بالعاصمة الإنجليزية نفسها، أن صيغة مختزلة من لفظ إيسترلنج– أي إسترليني Sterling– صارت علماً على الوحدة الذهبية في النقد الإنجليزي، حتى العصر الحاضر. عن ذلك انظر:
- هـ.أ.ل. فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة/ محمد مصطفى زيادة، والسيد الباز العريني، جـ/1، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1966م، ص227.

(3) Colvin, The Germans in England 1066-1598, P. 33.

- على الرغم من أن لفظتي Guild، Hans، اللتين تطلقان على طوائف التجار في شمال أوربا، ترجعان في أصولهما إلى ألمانيا؛ إلا أنه من الخطأ أن ترجع ظاهرة قيام اتحادات التجار إلى أصل ألماني. إذ الواقع أن ظاهرة التعاون نصادفها دائماً في الحياة الاقتصادية، وهي واحدة في جوهرها في كل مكان. فلم تنتشر التجارة في إيطاليا أو في الأراضي المنخفضة إلا بالتعاون(الاتحاد).فما هو معروف في الأقاليم التي يسودها اللسان الروماني،من =

ويرى دولينجر Dollinger، أن كلمة هانزا Hanse، هي كلمة ألمانية الأصل وتعني مصطلح قديم يستخدم للدلالة على "فريق المحاربين" (Warrior Band). وقد استخدم هذا المصطلح في العصور الوسطى للتعبير عن اتحاد مدن ألمانيا الشمالية والتجار المسيطرين على التجارة في بحري الشمال والبلطيق لعدد من السنين. حيث كانت التجارة تتم في عدد من السلع والمنتجات فكانت الهانزا الألمانية تقوم بنقل بضائعها براً وبحراً من لندن إلى نوفجورود Novgorod[1]، خلال القرن الثاني عشر وحتى القرن السابع عشر. غير أنهم لم يكونوا فقط مشتغلين بالتجارة؛ بل أن تجار الهانزا، تمتعوا بالسيطرة الاحتكارية على التجارة في المنطقة في أغلب الفترات[2].

جاء أول استخدام كلمة Hanse، لوصف مجموعة من الرسوم والضرائب التي كانت تفرض على التجار الذين كانوا يقدمون من مناطق أخرى وكانوا يرغبون في الحصول على امتياز يتيح لهم بيع بضائعهم في البلدة التي تستخدم الهانزا، وهذه الرسوم المفروضة كانت من قبل تجار المدينة. هذا فإن معنى الهانزا تعني شخص يمنح نفس الامتيازات التجارية التي يتمتع بها مواطنو المدينة نفسها. ومع مضي الوقت بدأت هذه الكلمة تنطبق على المنظمات مثل الاتحاد الذي استقبل الهانزا، وفي النهاية عندما تجمعت اتحادات متنوعة من أجل التجارة والحماية المشتركة أطلق هذا المصطلح على مثل هذا الاتحاد[3].

= مصطلحات Frairies، Charités، وجماعات التجار Compagnies، تقابل في الواقع ما هو معروف في البلاد الجرمانية من مصطلحي Gilds، Hanses.عن ذلك انظر:

- السيد الباز العريني، الحضارة والنظم الأوربية في العصور الوسطى، ص ص165-166.

(1) نوفجورود Novgorod: تعني بالإسكندنافية Holmgaror، أي "مدينة البحيرة"، وتقع في إقليم البحيرات الروسية بناها الروس واتخذوها مقراً لهم. عن ذلك انظر:=

- ليلى عبدالجواد إسماعيل، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية، دار الثقافة، القاهرة، 1410هـ/ 1990م، ص21.

(2) Quesenbery (T. A.), **The Institutional Success of the German Hansa 1158-1666**, MA Thesis, California state university2000, P. 1.

لمزيد من التفاصيل انظر:

- Dollinger (P.), **The German Hansa**, trans. D. S. Ault and S. H. Steinberg, Stanford: Stanford university Press, London, Ltd. 1970, xix.

(3) Cave, Coulson, A Source Book, P. 217.

من هنا تظهر أهمية الهانزا، حتى قبل أن تصبح اتحاداً تكون من سعي أفرادها الدائم والدءوب للحصول على امتيازات تخدم مصالح أفرادها التجارية. ففي ألمانيا والفلاندرز كانت هناك العديد من هذه الاتحادات، التي قامت بالاندماج مع بعضها البعض لكي تشكل اتحاداً أكبر[1].

تكون الاتحاد الفلمنكي في لندن The Flemish Hanse of London مثلاً، من اتحاد مجموعات بروج Bruges، ويبرس Ypers، وأصبح معروفاً في شمال أوربا. وقد تنامت أهميته في القرن الثاني عشر؛ حيث قام بالتركيز على التجارة مع لندن، وأصبح عبارة عن مؤسسة ارستقراطية من التجار الأغنياء يعيشون فيما لا يزيد عن خمسة عشر مدينة، هي بروج، ويبرس، ديكسون Dixmude، أرنبرج Ardenbourg، ليل Lill، ودانم Danme، وثوروت Thourout، وفيرني Furnes، وتورناي Tournai، أروحنيس Orchies، وبيلول Bailleul، بوبيرينجين Popernghe[2].

وعليه نستطيع أن نؤكد على أن التجارة في أوربا العصور الوسطى المتأخرة، تم إدارتها من قبل مثل هذه الاتحادات نظراً لافتقار أوربا آنذاك للأمن وهو ما دفع التجار إلى الاتحاد من أجل تسيير تجارتهم كما سنرى فيما بعد.

إذا أردنا أن نقدم وصفاً مختصراً للشخصية الهانزية Hanseatic، فإن هذا الأمر يُعد محيراً. ففي الأدب يشار إليها على أنها نقابة أو رابطة، أو جمعية، أو مجتمع التجار. وفي العصور الوسطى فإن أعضاء الهانزا بصفة عامة ازدروا هذه الألقاب الوصفية (النعتية)، حيث قاموا بعمل قوائم محددة للعضوية يتقبلها العقل ، لكن المفهوم الهانزي قد يعتمد على ارتباطات أخرى مشابهة في هذه الحقبة من الزمن.

فقد كانت هناك روابط أخرى في العصور الوسطى، من بينها الرابطة اللومباردية Lombard[3]، والتي تشكلت في عام 572هـ/1176م، تقريباً لتحرير المدن الإيطالية الشمالية

(1) Cave, Coulson, A Source Book, P. 217.
(2) Cave, Coulson, A Source Book, P. 217.
(3) قد تمتعت منطقة لومبارديا Lombardy، بصفة خاصة، بموقع جغرافي فريد، حيث كانت لومبارديا بالكامل تقع بين جبال الألب Alps، والأبنين Apennines، وقد اتصلا سوياً بواسطة شريانه الطبيعي، وبنهر البو Po وروافده التي تتفرع عنه وهو ما أهله لقيام المعارض به وبالتالي قيام هذه الاتحادات. عنه انظر:

من أباطرة الهوهنشتاوفن Hohenstaifen[1]. ويحاول رينهاردت Reinhardt أن يبرهن على أن الرابطة اللومباردية كانت بمثابة مثال يحتذى لتأسيس العديد من روابط المدن الألمانية ومن بينها رابطة الراين Rhenish، حوالي عام 652هـ/ 1254م، والرابطة السوابية Swabien، حوالي عام 732هـ/ 1331م، ورابطة الهانزا الألمانية. ومع ذلك فإن الهانزا تختلف تماماً عن الرابطتين الأخيرتين في الهدف، وتختلف عن الرابطة اللومباردية في توجهها التجاري المنتشر[2].

يعرف ويبستر Webster، الهانزا Hansa أو هينس Hanse، بأنها "نقابة تجارية قامت في العصور الوسطى أو رابطة تجارية". أما ليود Lioyd فإنه يشير إلى أن الهانزا Hansa، هي ترجمة إنجليزية لهينس الألمانية German Hanse[3].

وقد تنوعت وجهة نظر رينهاردت Reinhardt، بأن معنى هذه الكلمة الألمانية والقوطية القديمة تشير في الإنجليزية المعاصرة إلى معنى "الاتحاد، المجموعة، أو الرابطة". ومن الناحية التاريخية ففي عام 874هـ/ 1469م، اقترح أعضاء الهانزا Hansa، أن تكون هذه الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية أنسا Ansa، والتي ربما تعني الفرصة opportunity. واليوم فإن المجموعة يشار إليها في الأعمال الإنجليزية المنشورة بالرابطة الهانزية Hanseatic League، والتي تشير في العديد من الأعمال إلى الهانزا. وهناك كلمات مشتقة من الهانزا، وهي تفيد نفس المعنى وهي هانستيك Hanseatic، وهانسارد Hansard، والتي اشتقها على ما يبدوا كتاب آخرون من

- The Cambridge Medieval History, Vol. 5, Cambridge, 1948, P. 229.

(1) الهوهنشتاوفن: حكمت ألمانيا أسرتان هما أسرة الجولفين، وأسرة الجبلين- أي الهوهنشتاوفن- وكانت حوادث التنافس على التاج الألماني أمراً كبيراً، وانتهى النزاع فيما بين البابوية والإمبراطورية بإعدام آخر الهوهنشتاوفن على يد شارل كونت أنجو عام 1268م. عن ذلك انظر:

- فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ج1، ص196 حاشية (1).

(2) Quesenbery, The Institutional Success of the German Hansa, P. 26.

- لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر:

- Reinhardt, (k. F.) ,**The Rise and Fall of the "Holy Empire"**, New York, 1997, 119. Vol. 1 of Germany: 2000 Years.

(3) Quesenbery, The Institutional Success of the German Hansa, P. 26.

- لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر:

- Lloyd (T. H.), **England and German Hansa, 1157-1611, A Study of Their Trad and Commercial Diplomacy**, Cambridge: Cambridge University Press, 1991, 15.

أجل التنويع[1].

وعموماً فإنه منذ الأيام الأولى لظهور الإتحاد فإن اسم الهانزا، تم إطلاقه على اتحادات التجار المسافرين إلى بلدان أجنبية. ومن ثم فإن الهانزا الفلمنكية في لندن، كانت اتحاداً من التجار الذين وفدوا من مختلف المدن الفلمنكية، ونظموا رحلات منتظمة إلى إنجلترا. وقد كان أعضاء الاتحاد يدفعون رسوماً كانت تسمى أيضاً بهانزا Hansa. وكان الهدف من هذه الاتحادات يتمثل في توفير حماية جماعية في الأراضي الأجنبية، ومن أجل حماية الامتيازات التجارية، ومن أجل مراقبة الحقوق التجارية التي في أيديهم[2].

وعليه نستطيع أن نؤكد على أهمية الاتحادات التي ظهرت في العصور الوسطى؛ والتي جاء على رأسها اتحاد الهانزا Hanse، وعلى الرغم من اختلاف العلماء في معناه ومسماه؛ إلا أنهم اتفقوا بلا شك على أهمية الدور الذي لعبه في تلك العصور خاصة فيما يتعلق بالنشاط التجاري وحماية التجار كذلك.

2- الأسباب التي أدت إلى اتحاد المدن الألمانية والقوانين المنظمة لها:

بعد التعريف بمعنى الهانزا Hanse، لابد أن نتعرف على كيفية قيام الاتحاد بين المدن الألمانية والأسباب التي دعت إلى قيام مثل هذه الاتحادات في أوربا العصور الوسطى.

كان السبب في قيام هذه الاتحادات عندما بدأت مدن شمال أوربا في القرنين الحادي عشر

(1) Quesenbery, The Institutional Success of the German Hansa, PP. 26- 27.
- لمزيد من التفاصيل عن أصل الهانزا Hanse الألمانية. انظر:
- Sartorius, Unkundiche Geschichte des Ursprunges der Deutschen Hanse; Erster Band, PP. 1-4.
- See Also: Orton (C. W. P.), A History of Europe from 1198 to 1378, London, 1951, P. 142.

(2) Postan, the Cambridge economic history of Europe, Vol. III, P. 111.
- عن ذلك انظر أيضاً:
- Winter (W.L.), **Netherland Regionalism and the Decline of the Hanse**, in: AHR, Vol.53, No.2 (Jan., 1948), PP. 279- 280.
- Lloyd, England and the German Hanse, PP. 13-16.
- Bjork (D.K.), **Three Hansa towns and Archives: Bruges, Lübeck, Tallinn**, in: PHR, Vol.9, No.3 (Sep., 1940), P. 297.

والثاني عشر الميلاديين، في زيادة روابطها التجارية، وواجه تجارتهم عائقاً كبيراً يتمثل في عدم الأمان والفوضى اللذان سادا في كل مكان. حيث أصبح التاجر الذي يحمل سلعاً متوجهاً إلى السوق الإيطالية[1]، يتعرض لخطر خسران تلك السلع على أيدي النبلاء المغتصبين، والذين فرضوا سيطرتهم على كل الطرق البرية وقاموا بسرقة التاجر إما بصورة مباشرة أو عن طريق فرض عدد من رسوم المرور والضرائب الجائرة على متاجره. كما أن الطريق البحري لم يكن أقل خطراً، فقد زادت سفن القرصنة في المياه واتخذت من أي سفينة تجارية سيئة الحظ تقع تحت أيديهم غنيمة، حيث كانوا يستولون عليها عن طريق استخدام القوة المسلحة ضدهم أو عن طريق استخدام المنارات الخادعة حيث تجعلهم يتوجهوا إلى شواطئ خطرة، الأمر الذي يعرضهم للتحطم على تلك الشواطئ[2]. وفي حالة غرق إحدى السفن فإن عمال الموانئ كانوا يقومون بالاستحواذ على ما يلقيه ويقذفه البحر[3]. بل كان السيد يعتبر كل ما يلقيه البحر إلى الشاطئ من حطام السفن الغارقة من حقه لكن ذلك تعدل وتغير فيما بعد وفق المعاهدات[4].

(1) قد اكتسبت شبه الجزيرة الإيطالية أهمية كبرى بسبب موقعها الجغرافي، فهي تقع في جنوب أوربا مطلة على البحر المتوسط، الذي قامت على ضفافه أقدم الحضارات وأعرقها، في وقت كان فيه هذا البحر مركز النشاط الاقتصادي في العالم. وكانت المدن الإيطالية هي حلقة الاتصال بين أوربا وبين الحوض الشرقي للبحر المتوسط وبلاد الشرق، وكانت بفضل موقعها من أقرب الأقاليم الأوربية إلى الدولة البيزنطية. قد يسر لها هذا المركز المتوسط بين الشرق والغرب المتاجرة مع أوربا وبيزنطة والشام وسائر بلاد المسلمين وفي نفس الوقت إقامة أسواق رائجة على أرضها. عن ذلك انظر:

- جوده حسين جوده، قارة أوربا، دراسات في الجغرافيا الإقليمية، ص187؛ عبدالعزيز محمد الشناوي، أوربا في مطلع العصور الحديثة، ج1، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975م، ص27.
- لمزيد من التفاصيل عن الأسواق اللومباردية انظر:
- زينب أبو الأنوار، أسواق وتجار أوربا، ص ص140-153.

(2) Myers (P. V. N.), Mediaeval and Modern History, London, 1905, P. 155.

(3) Duruy, Histoire de Moyen Age, P. 355.

(4) بيرين، تاريخ أوربا، ص ص94-95.

- قد سعت النقابات- كما سنرى في مبحث وسائل تأمين التجار وحمايتهم في رحلاتهم التجارية- بالتخلص من مثل هذه الأخطار من خلال الحصول على امتيازات بهذا الشأن. من ذلك قيام الملك هنري الثاني Henry II، ملك انجلترا في عام572هـ/1176م، بإلغاء ذلك الحق ومنح التجار عموماً وتجار ألمانيا =

كانت القرصنة منتشرة في العصور الوسطى انتشاراً كبيراً، الأمر الذي أجبر السفن التجارية على أن تسلح نفسها حتى تستطيع الدفاع وقت الخطر، فأصبحت كل سفينة تحتوي على ساحة للقتال، وفي بعض الأحيان على ساحتين إحداهما في المقدمة والثانية في المؤخرة[1].

وقد استخدمت سفن البحار الشمالية فكرة بناء ساحة للقتال[2]. وفي ظل هذه الظروف قدم التجار في أسفارهم في جماعات، وبرفقتهم مجموعات من الرجال المسلحين، ومنذ هذا الوقت أخذت مثل هذه الرحلات تخضع لتخطيط دقيق مما استتبع إنفاق أموال كثيرة، كما أنها أدت بطبيعة الحال إلى تنظيم الاتحادات التجارية التي تدعي بالنقابات Gilds أو الهانزا Hanses[3].

ونظراً لأن التجارة الألمانية لم تكن آمنة وسط مظاهر الفوضى السياسية التي عمّت ألمانيا، لذا وجد التجار الألمان أنفسهم في حاجة إلى الاتحاد لحماية مصالحهم التجارية[4]، خاصة أن البحار لم تكن خالية من القراصنة، والطرق لم تكن خالية من اللصوص، وهؤلاء وأولئك انضموا إلى النبلاء الإقطاعيين وفرضوا المكوس والمقررات الباهظة على الجسور والمعابر التي يمر عليها التاجر بتجارته[5].

خاصة تجار لوبيك Lübeck، حق الحصول على جميع البضائع الخاصة بهم والمشحونة على متن السفن التي تغرق على الشواطئ. حتى لا تسلب هذه البضائع من أصحابها الحقيقيين ساعة الخطر وهو ما كان يعرف بـ "سلب حطام السفن" عن ذلك انظر:

- Grant of Freedom from Wreck to Men of Lübeck by Henry II, in: Sartorius, Urkundlicher Geschichte, Vol. II, A. D. 1176, P. 8.

(1) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ط2، دار المجمع العلمي، جدة، 1399هـ/1979م، ص ص161-162.

(2) قد انتقلت فكرة بناء ساحة للقتال وكذلك اصطلاح (Forecastle)، من سفن البحر المتوسط إلى سفن البحار الشمالية، وذلك إبان الحروب الصليبية. عن ذلك انظر: سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص162.

(3) Stephenson, Medieval History, PP. 311-312.

(4) سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص596؛ نعيم فرج، الحضارة الأوربية في العصور الوسطى، ص148.

(5) لم يكن الأمر في أوربا يقتصر على بقاء المكوس المعتادة فحسب؛ وإنما زاد عليها فرض رسوم جديدة عرفت باسم Teloneum، أو مكوس السوق إلى جانب ضرائب المرور التي شكلت عبئاً على التجار إذ لم يستفد من هذه الضريبة في إصلاح الطرق أو تجديد بناء الجسور. وقد أثقلت هذه المكوس كاهل التجار مثلما كانت الحقوق الإقطاعية مع الأرض.لذا فإن أول المطالب التي نتجت عن قيام المدن هي أن يتحرر =

وفضلاً عن هذه المعوقات الكثيرة سيطر الدانيون[1]، بشبه جزيرتهم الدانمارك Denmark[2]، على مضيق السِّوند Sound، الواصل بين بحر الشمال والبحر البلطي، وجعلوا من وضعهم الجغرافي العاصف شجي في حلق ألمانيا، ومصدراً لإيذاء السفن الألمانية المستخدمة في التجارة وصيد الأسماك. ولذا وجب على التجار الألمان أن يأخذوا الدانيين المزعجين بشيء من السياسة، وأن يحيطوا محطات التجارة الألمانية في إنجلترا واسكندناوة بشيء من الامتيازات عن طريق الشراء بالمال، وأن يؤمنوا سفن التجارة وصيد السمك ببعض وسائل التأمين على أن الاضطلاع بكل هذه المهام لم يكن في مقدور مدينة من المدن الألمانية بمفردها؛ بل تعيّن عليها جميعاً أن تتحد، وأن تعتمد على اتحادها كل الاعتماد لأن الإمبراطور كان ينشغل في معظم الأحيان بشئون

= مواطنوها من هذه المكوس. إما جزئياً أو داخل المقاطعة التي يحكمها الأساقفة أو غيرهم، إذ نال أهلها وحصلوا على إعفاءات كعمل من أعمال البر. لذا فمن القرن الثاني عشر الميلادي فصاعداً نجحت القومونات الغنية في الحصول على امتيازات التحرر من المكوس في الأقطار الأجنبية التي يتردد عليها تجارهم. عن ذلك انظر:

- بيرين، تاريخ أوربا، ص ص89-90.
- ولعل من أمثلة ذلك ما حصل عليه رعايا كولونيا في لندن، من الملك هنري الثاني Henry II من امتياز يمنحهم حق البيع مع الحماية. عن ذلك انظر:

- Prinlege of the Men of Cologne at London, in: Lappenberg (J. M.), Urkundliche Geschichte des Hansischen Stahlhofes zu London, Part. II, Hamburg, 1851, A. D. 1157, P. 4.

(1) الدانيون أهم أحد عناصر الفكينج، الذين انقسموا إلى ثلاث فئات هم النرويجيين والسويديين والدانيين، الذين سكنوا شبه جزيرة اسكندناوه وشبه جزيرة جتلاند (الدانمارك)، والتي اتخذت إغاراتها على أوربا شكلاً خطيراً في القرن التاسع. وقد أطلقت هذه العناصر على نفسها، وأطلق عليها المعاصرون- اسم الفيكنج Vikings – بمعنى سكان الفيوردات أو الخلجان، وهي الظاهرة الطبيعية التي تمتاز بكثرتها شواطئ الجهات الشمالية الغربية من أوربا. عن ذلك انظر:

- سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص ص221- 223؛ نظير سعداوي، تاريخ انجلترا وحضارتها، ص ص46-48. عن الفيكنج انظر أيضاً:

- Kendrich, History of the Vikings, London, 1930.
- Mawer (A.), The Vikings, London, 1964.
- Cohat (R.), Le Viking Roi Mers, Paris, 1953.

(2) الدانمارك: تمكنت من خلال ملكها كانوت أن تقيم دولة اسكندناوية كبرى، ضمت النرويج وانجلترا إضافة إليها؛ إلا أن كانوت سرعان ما وجد أن هذه الإمبراطورية أوسع من أن يحكمها= =بسهولة لذا فصل حكومة النرويج وأعطاها لابنه سوين Sweyn في حياته، ثم لم تلبث بقية الإمبراطورية أن تفتت عقب وفاته عام 427هـ/ 1035م، فاستقلت النرويج وانفصلت انجلترا بعد الغزو النورماني. عن ذلك انظر: سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص605.

الإمبراطورية في إيطاليا البعيدة[1]، ولأن دوقية سكسونيا بشمال ألمانيا – وهي الدوقية التي طالما حمت المتاجر والمصالح الألمانية عموماً من عادية الدانيين وغير الدانيين بحكم وضعها الجغرافي – لم تعد في شيء من سالف قوتها وهيبتها بعد موت هنري الأسد Henry The Loin[2]. ومع ذلك كله لم تستجب طوائف التجار إلى نداء المصلحة إلا بعد تردد طويل، ومفاوضات أطول[3]. فقد قامت المدن التجارية الألمانية بتشكيل تحالفات في بلدان أخرى، وقاموا هناك بإنشاء المستودعات والمصانع، وسميت هذه الاتحادات بالهانزا Hanse[4]. والتي أخذت في النمو والاتساع في الغالب، إذ كانت هناك تحالفات عارضة تقريباً تمت بين مجموعة من المدن الصغيرة من أجل حراسة تجارتها الخارجية ثم أخذت هذه المدن في الاتحاد في منظمة راسخة وقوية.

ولم يكن تحالف الرابطة الهانزية Hanse League تحالفاً سياسياً متماسكاً في البداية، ولكن كان هناك علاقة بين الطبقة الأرستقراطية وأصحاب الحرف، وانحصرت علاقتهم في التجارة، وقد كان الغرض من الجهد المبذول والهدف المحدد للطبقة الأرستقراطية التجارية، هو تحقيق منافع

---

(1) كان الأباطرة الألمان، وعلى رأسهم فردريك الأول بربروسا (1152-1190م)، مؤمنين بعظمة الوظيفة الإمبراطورية وسموها؛ إذ كانوا يرون أن مجد الإمبراطورية لن يتحقق إلا بالربط بين شطري الإمبراطورية في ألمانيا وإيطاليا. غير أن الأحداث التاريخية أثبتت أن وظيفة الإمبراطورية العالمية قد أصبحت سطحية وغير واقعية، خاصة في أواخر العصور الوسطى؛ إذ أن مظاهر الإمبراطورية ومطالبها أدت إلى انصراف الأباطرة عن شئون ألمانيا نفسها إلى غيرها من الشئون الخارجية وخاصة في إيطاليا، مما أضعف نفوذ الملكية الألمانية وعاد عليها بأوخم العواقب. عن ذلك انظر:
سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص ص371، 577.

(2) هنري الأسد (1142- 1180م): بعد اتفاقية ورمز 1122م، والتي أنهت مرحلة من مراحل النزاع بين البابوية والإمبراطورية، أجمع الأمراء في ألمانيا على انتخاب دوق سكسونيا لوثر ملكاً لقوته، وكان من أشد أنصاره دوق بافاريا الذي زوجه ابنته،فأنجبت هنري الذي لقب بالأسد وورث بذلك مقاطعتي سكسونيا وبافاريا عام 1138م، وغضب على تنصيب هذا الملك أسرة= =الهوهنشتاوفن الألمانية، لذلك احتدم الصراع طويلاً مستقبلاً بين هذه الأسرة، وأسرة هنري الأسد حاكم سكسونيا وبافاريا والتي تعرف بالأسرة الولفية أو "الجلفية". عن ذلك انظر:
- Tout, The empire and the Papacy, London, 1924, PP. 231-240.

(3) فشر، تاريخ أوربا، ج1، ص ص227-228.

(4) Keppen (A. L.), The world in the middle ages, Vol. II, New York, 1856, P. 482.

فردية لذا أخذ هؤلاء الأعضاء في التعاون واحداً واحداً من أجل تحقيق تلك المنافع الفردية، وقد أخذت هذه الاتحادات في التوالي حتى كونوا اتحاداً أكبر[1].

وهو ما يؤكد أن تطور الهانزا الألمانية كان ناتجاً عن خليط من العوامل السياسية والاقتصادية والجغرافية. فقد نمت أولاً كمجموعة من الشركاء الفرديين العاملين بالتجارة[2]، ثم بعد ذلك أصبحت هذه المجموعة تأخذ صبغة رسمية أكثر ثم أصبحت مدناً تابعة لبعضها البعض. وفي حين أن البداية تمثلت في تأسيس مدينة لوبيك Lübeck في عام 553هـ/ 1158م؛ إلا أنه سرعان ما اعتمدت القوة الهانزية على ثالوث من المصالح اكتملت في لوبيك، وبروسيا Prussia،وكولونيا[3].

---

(1) Hartmeyer (H.), Der Weinhandel im Gebiete der Hanse im Mittelalter, Jena, 1905, P.1.

- عن ذلك انظر:

- Winter, Netherland Regionalism and the Decline of the Hansa, PP. 279-280.

(2) أكد بوستان، أيضاً على أن الرابطة الهانزية لم تكن في البداية اتحاد مدن؛ بل تطورت من الشركات التجارية ومعها. بيد أنه يرى أنه لم يصبح اتحاداً سياسياً فقط بل إنه ظل تحالفاً مطلقاً= =للمدن الألمانية من أجل الدفاع عن المصالح الاقتصادية المشتركة وحماية الامتيازات الخاصة (الحصرية). حيث تكاتف التجار الألمان، داخل الهانزا الألمانية، الذين كانوا يترددون على ويزبي Wisby الواقعة على جزيرة جوتلاند مع بعضهم البعض من أجل حماية الامتيازات التجارية. عن ذلك انظر:

- Postan, the Cambridge economic history, Vol. III, P. 111.

(3) كولونيا Cologne: مدينة تجارية تقع شمال نهر الراين في غرب ألمانيا وهي إحدى أهم مدن العصبة الهانزية التجارية. عن ذلك انظر:

- Webester (M.), Webster New Geographical Dictionary, New York, 1972, P. 277.

- تعد كولونيا أفضل مدينة ألمانية مدعمة بالوثائق في هذه الفترة.

- Nicholas, The evolution of the Medieval world, P. 301.

- من تلك الوثائق: العلاقات الخارجية للاتحادات الألمانية.

- The External Relations of German Hanses, Protection of the Men of Cologne at London, in: Lappenberg, Urkundliche Gesechichte des Hansischen, Part II, A. D. 1157, P.3.

- امتياز رعايا كولونيا في لندن:

- Privilage of the Men of Cologne at London, in: Lappenberg, Urkundliche Gesechichte, Part II, A. D. 1157, P.4.

- امتياز رعايا كولونيا في انجلترا:

- Tax Privileges of the Men of Cologne In England, in: Lappenberg, Urkundlich Geschichte, Part II, A. D. 1194, P. 5.

وعلى الرغم من أن تصدير المنتجات المحلية كان يدعم نموها؛ إلا أن الهانزا كانت مؤسسة تجارية ناضجة لمقايضة السلع مع غيرها من المدن المنتجة وحافظت كذلك على المرافق الخارجية الثابتة أو محطاتها Kontores في لندن، وبروج[1]، بيرجن، ونوفجورود[2].

لقد كانت تلك المحطات التجارية الأربع بمثابة مراكز خارجية مهمة للعصبة الهانزية، كما سنرى فيما بعد؛ والتي مكنته من احتكار تجارة المرور بين البلدان الشمالية والغرب الأوروبي[3].

أخذت المدن الألمانية منذ وقت مبكر في محاولة لدعم مواطنيهم في الخارج[4].

إذ نستطيع أن نؤكد أن المدن الألمانية اتحدت معاً من أجل دفع تجارتها الخارجية. فربما التقى التجار في المدن الأجنبية، وهناك اكتشفوا وتوصلوا إلى أهمية رعاية مصالحهم المشتركة. فمن المؤكد أنه في الفلاندرز، وروسيا، والدانمارك، والنرويج Norway، والسويد Sweden، وإنجلترا قد

(1) عن ميناء بروج Bruges وأهميته التجارية. انظر:
- Pirenne (H.), Cohen (G.), Focillon (H.), Histoire Generale du Moyen Age, La Civilization Occidentale au moyen age du XI au Milieu du XV siecle, tome VIII, Paris, 1933, PP. 127-128.
- عن الاتصال بين التجار الألمان في الخارج في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. انظر:=
- Sartorius, Urkundliche Geschichte, des Ursprunges der deutschen= Hanse, Vol. I, PP. 6-18.
- عن الاتصالات الأولى الفردية، ثم الاتصال بين العديد من المدن الألمانية المنخفضة خلال القرن الثالث عشر الميلادي من أجل الحفاظ على سلامتهم وحقهم في الداخل ثم الحفاظ على حقوقهم وامتيازاتهم في الخارج. انظر:
- Sartorius, Urkundliche Geschichte, des Ursprunges der deutschen Hanse, Vol. I, PP. 19-30.

(2) Quesenbery, the Institutional Success of the German Hanse, P. 5.
- عن ذلك انظر:
- Gaimster (D), **A Parallel history: The Archaeology of Hanseatic Urban Culture in the Baltic C. 1200-1600**, in: WAHA, Vol.1.37, No.3 (Sep.2005), P.412.

(3) Boissonnade (p.), Life and work in medieval Europe, London, 1937, P. 163.
- عن الأهمية الجغرافية للمنطقة وتكوين هذه المراكز التجارية. انظر:
- Mehler (N.), **The Perception and Interpretation of Hanseatic Material Culture in the North Atlantic: Problems and Suggestions**, in: AE MNAJ, Special, Volume1, 2009, PP. 89-91.

(4) Kiesselbach (G. A.), Die Wirtschaftlichen Grundlag en der deutschen Hanse und die Handelsstellung Hamburgs, Berlin, 1907, P. 247.

تواجدوا، ولكن الرابطة وتنظيمها كان على اتصال وثيق مع المدن الأصلية "الأم"، بالرغم من أن هذه البلدان لم تكن أعضاء في العصبة؛ إلا أنها كانت لها تبعية اقتصادية لتقديم خدماتها[1].

وقد هاجر التجار الألمان بشكل غير دائم إلى خارج بلادهم، ومع ذلك كانوا يعودون إلى المدن الرئيسية للحصول على احتياجاتهم، وبطبيعة الحال، كان معظمهم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصلحة بلاده.

وكانت مجالس المدن تتألف من التجار، وتقوم برعاية مصالحهم، حتى أنهم خضعوا لها خضوعاً تاماً. لأن قوة مدنهم في البداية كانت ضعيفة جداً ووجدوا أن ذويهم في الأراضي الأجنبية يمكن أن يقدموا لهم كثيراً من الاحتياجات، ولكن نتيجة للنمو والازدهار الاقتصادي أصبحت المدن أكثر استقلالية خاصة مع ضعف السلطة المركزية فنمت قوتها، حيث شارك التجار في تنميتها حتى أصبحت تلك المدن قادرة على رعاية مصالح رعاياها في الخارج بل وتمثيلهم كذلك[2].

كان معظم التجار الألمان يدركون جيداً أهمية وضرورة توحيد قواهم داخلياً وخارجياً لذا تكاتفوا معاً من أجل تحقيق ذلك وكان على رأس هذه المدن مدينة لوبيك، التي تزعمت مدن بحر البلطيق؛ ثم أصبحت أكبر مدينة في حكومة الاتحاد ككل.

أصبحت لوبيك منذ وقت مبكر حوالي عام 623هـ/ 1226م، مدينة حرة، وأخذت في تحديد نمط السياسة مع الدول المجاورة بعد أن أصبح لها السيادة على مدن بحر البلطيق[3].

كانت لوبيك، بمثابة أول مركز تجاري منذ تأسيسها عام 553هـ/ 1158م، على يد أدولف الثاني Adolf II، كونت هولشتين Holstein، الذي وضع معايير لاختيار المكان

(1) Colvin, The Germans in England, 1066-1598, P.33.
(2) Kiesselbach, Die Wirtschaftlichen Grundlag en der deutschen Hanse, PP. 247- 248.

- أيضاً عن اتحاد المدن الألمانية انظر:

- Daenell (E.), Die Blütezeit Der Deutschen Hanse, Hansische Geschichte Von Der Zweiten Hälfte Des XIV. Bis Zum Letzten Viertel Des XV. Jahrhunderts, I.Band, Berlix, 1905, PP. 5-6.

(3) Colvin, The Germans in England, 1066-1598, P.33.
- Kiesselabach, Die wirtschaftichen Grundlag en der deutschen Hanse, P. 248.
- Daenell, Die Blütezeit Der Deutschen Hanse, Vol. I, PP. 6-7.

المناسب لبنائها منها موقعها في شبه جزيرة يمكن الدفاع عنها، ونهر يصلها بالبلطيق، وقربها الشديد من مدينة هامبورج Hamburg[1].

هذه المعايير جعلت من لوبيك مركزاً قيادياً للهانزا Hansa، خلال عقود قلائل[2].

تطورت أوضاع اتحادات ألمانيا في القرن الثاني عشر الميلادي، حيث بدأت المدن الألمانية في تأكيد قوتها. وفي منتصف القرن طلبت المدن من الإمبراطور فرديك بربروسا Fredrick Berbarossa (547/ 586هـ/ 1152- 1190م)[3]، منحهم امتيازات في البلاد الأجنبية مثل التي حصلوا عليها في لندن London عام 552هـ/ 1157م، حيث كان هنري الثاني Henry II (540- 558هـ/ 1154-1189م)[4] ملك إنجلترا يسعى إلى تحقيق مكسب خاص لذا رحب بالتجار الأجانب[5]، فتأسست المراكز التجارية في لندن، وبيرجن Bergen،

(1) هامبورج Hamburg: تقع هامبورج في شمال ألمانيا وتطل على نهر الإلب بالقرب من مدخله إلى بحر الشمال، وأسس شارلمان هذه المدينة عام 808م، وحالياً تعتبر ثان أكبر مدن ألمانيا بعد برلين Berlin. عن ذلك انظر:

- The Columbie Encyclopedia Second Edition, New York, 1950, P. 848.

(2) Quesenbery, the Institutional Success of the German Hansa, P. 8.

- لمزيد من التفاصيل عن أهمية لوبيك حتى القرن الخامس عشر الميلادي. انظر:

- Rotz (R.A.), **The Lübeck Uprising of 1408 and the Decline of the Hanseatic League**, in: PAPS, Vol.121, No.1 (Feb.15, 1977), PP.1-2.

(3) فردريك بربروسا: هو ابن أخو كونراد الثالث، تولى الحكم في الثلاثين من عمره عام 547هـ/1152م، امتاز بالشجاعة والفصاحة والكبرياء، مع إيمانه المطلق بعظمة الإمبراطور وسموها. عنه انظر:
سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص ص371-375.

(4) هنري الثاني: هو هنري بلانتاجنت الذي تولى عرش انجلترا تحت اسم هنري الثاني والذي عد من أكبر شخصيات العصور الوسطى على الإطلاق، إذ كان ذو عقلية قانونية بلغ بقوة عقله ومضاء عزيمته مبلغ العباقرة. أعطى للقرن الثاني عشر أعظم نموذج للملكية القوية المستبدة. وقد نجح في تدعيم انجلترا خارجياً وداخلياً حيث قام بإصلاحات كثيرة أبرزها تلك التي قام بها في القضاء. عن ذلك انظر:
نظير حسان سعداوي، تاريخ انجلترا، ص ص80-81.

(5) عن العلاقات الخارجية للاتحادات الألمانية انظر:

- Lappenberg, Urkundliche Geschichte des blansischen, Part II, A. D. 1157, PP.3-5.

ونوفجورود Novgorod، وفي مدن وبلدان أقل من ذلك[1]. ومنذ أخذ الألمان في العمل على تنظيم أنفسهم في جماعات كبيرة لحماية مصالحهم، فأنشأوا لأنفسهم مراكز تجارية كبيرة، في المناطق سابقة الذكر، وفي أماكن حول البلطيق[2]. فمثلاً عندما اتحد رجال مدينة دورتريخت Dotrecht[3]، وتم تنظيمهم سمي هذا الاتحاد باسم الهانزا Hanse[4]. وقد سعى رجال هذا الاتحاد للحصول على امتيازات تجارية داخل المدينة نفسها من كونت هولندا Holland، الذي قام بمنحهم الحق في التمتع بالحرية داخل المدينة، كما منحهم حقوقاً تجارية – فيما يتعلق بحق قصر قص قماش للبيع للتجزئة-؛ خاصة برجال اتحاد المدينة، وذلك عام 597هـ/ 1200م[5]. الأمر الذي يؤكد على أهمية مثل هذه الاتحادات وسعيها الدائم في الحصول على امتيازات تجارية من الأمراء والملوك داخل مدنهم أو خارجها.

عندما يلتقي تجار المدن الصغرى مع تجار المدن الكبرى مثل أوتريخت Utrecht[6]، أو

(1) Cave, Coulson, A source Book, PP. 217-218.

- عن التجارة الألمانية الدولية. انظر:=

- = Piernne, Cohen, Focillon, La Civilisation, P. 131.
- Perroy (É.), Histoire Generale des Civilizations, Le Moyen Age L'expansion de L'orient et la Renissance de la Civilization occidentale, Tome III, Paris, 1955, P.357.

- نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ج2، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1402هـ/1982م، ص25.

(2) نقولا زيادة، عالم العصور الوسطى، ص195.

(3) دور تريخت Dortrecht: هي مقاطعة بهولندا الجنوبية، تقع جنوب غرب هولندا، عند مفترق الطرق من Merwede ونورد Noord، Oude Maas (Old Meuse) وأنهار Dordtse. عن ذلك انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. III, P.627.

(4) The Hanse as a Gild, in: Cave, Coulson, A Source Book, P.219.

(5) Gross, The Gild Merchant, Vol. 1, A. D. 1200, P. 293.

(6) أوتريخت Utrecht: تقع مدينة أوتريخت بهولندا، يحدها من الشمال Zuyder- Zee، ومن الشرق Guelderland، ومن الجنوب نهر الراين Rhine، وتميزت بالعديد من المباني والعمائر في العصور الوسطى. عن ذلك انظر:

- Brookes (R.), The General Gazetteer; or, Compendious geographical dictionary, in miniature, London, 1823, P. 372.

عندما يلتقي التجار من مدن عدة مثل هؤلاء في الراين Rhine[1]، من أجل الدفاع المشترك ولتطوير التجارة في منطقة بعينها فعلية فإن كلمة هانزا Hanse تستوفي معناها النهائي والأعظم[2].

وقد جاء في نص الوثيقة التي صدرت في عام 649هـ/ 1251م، (نقرر نحن العمدة ومسئولو النقابة والقناصل ومسئولو مدينة أوتريخت Utrecht أن نعمل من أجل الصالح العام ومن هنا فلا يحق لأي شخص أن يبيع وعاء من الخمر أو أكثر لأي شخص آخر يرغب في بيعها في برميل في أوتريخت فيما عدا إذا كان المشتري من مواطني أوتريخت، ويدفع الجزية والضرائب ويخضع للرسوم الأخرى في المدينة)[3].

إذاً يتضح لنا من هذا النص أن حق بيع الخمر في براميل قد قصرته الوثيقة أو الامتياز على أهل أوتريخت، الذين هم في الغالب رجال الاتحاد فيها، مع تأكيدها كذلك على أهمية التزامهم بدفع الضرائب وكافة الرسوم الأخرى في المدينة. كما نصت أيضاً على: (نقرر أيضاً أنه لا يسمح لأحد بالعمل باسم أي شخص آخر من غير مواطني أوتريخت، أو يعمل في نفس المجال وأن يبيع الخمر في براميل. بالإضافة إلى أنه إذا قام أي شخص بمخالفة هذه القوانين التي اتخذناها فإنه سيدفع غرامة تقدر بعشرة جنيهات، أو أن يغادر المدينة ويمنع من التجارة لمدة عام. ويضاف إلى ذلك أيضاً بأنه يعتبر مجرماً لحنثه باليمين الذي أقسمه لنا. وعليه فإن تجار الراين، ومواطنينا يوافقون على هذا القانون الذي قررناه ويعلمون من داخل أنفسهم أنه إذا قام أحد بخرق أي من هذه القوانين التي قررناها؛ فإنه سيحرم من البقاء في نقابته في جميع أنحاء الراين، ولا يستردها إلا إذا دفع غرامة قدرها ماركاً واحداً، ولا يحق لأي شخص أن يعامله تجارياً لمدة عام)[4]؛ إذاً فإن هذه الوثيقة تؤكد على أن خرق هذه القوانين لن تقتصر عقوبتها على حد دفع الغرامة؛ بل إنها تعدت ذلك بأن

(1) الراين: ينبع نهر الراين من جبال الألب ويجري نحو الشمال والشمال الغربي ويصب في بحر الشمال، يبلغ طوله 1319 كم، ويعتبر هذا النهر إلى الشرق من بلاد الغال. عن ذلك انظر:
- Moore (W. G.), the Penguin Encyclopedia of Places, Great Britain, 1978, P. 652.
(2) The Hanse as a League, in: Cave, Coulson, A Source Book, P.219.
(3) Gross, The Gild Merchant, Vol. 1, A. D. 1251, P. 294.
(4) Gross, The Gild Merchant, Vol. 1, A. D. 1251, P. 294.

يغادر الشخص المخالف المدينة بل وصل الأمر إلى حد الطرد من النقابة نفسها، وأن يتم مقاطعته تجارياً لمدة عام. مما يؤكد على صرامة مثل هذه القوانين حتى يتم تسيير الحركة التجارية بدقة ويسر خاصة في مكان مهم تجارياً مثل الراين Rhine.

وجد التجار الألمان أنفسهم في حاجة إلى الاتحاد لحماية مصالحهم التجارية وسط مظاهر الفوضى السياسية التي عمت ألمانيا في الشطر الأخير من العصور الوسطى، فأخذوا ينتظمون – على خلاف المدن التي ينتمون إليها – في هيئة اتحادات تجارية كبيرة. إلا أنه يبدو أن المدن الواقعة في حوض الراين، كانت أسرع من غيرها إلى الاتحاد، وذلك بحكم تعرضها أكثر من غيرها لنهب الأمراء الذين لا تزال بعض قلاعهم الباقية في هذا الجزء من أوربا تشهد على بأسهم وعظم خطرهم[1]. وهكذا تم التحالف بين لوبيك Lübeck، وهامبورج Hamburg[2].

في عام 639هـ/ 1241م[3] حيث عقدتا تحالفاً تجارياً مشتركاً واتفاقاً للحماية فيما بينها، متضمناً اتخاذ قوانين صارمة من أجل القضاء على أعمال القرصنة وحماية مدنهم التجارية، والضرب على أيدي اللصوص والمعتدين والقبض عليهم وتسليمهم للسلطات لينالوا عقابهم[4].

أظهرت العلاقة بين هامبورج، ولوبيك، منذ الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، وربما قبل ذلك أيضاً، وأوضحت الامتيازات التي حصل عليها مواطنو هامبورج في لوبيك كذلك. إذ

---

(1) سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص596.
- Zimmern, The Hansa towns, P. 45.

(2) Kiesselabach, Die wirtschaftichen Grundlag, P. 95.
- Colvin, The Germans in England, P. 35.
- Myers, Mediaeval and Modern History, P. 155.
- Perroy, le Moyen age, Tome. III, P. 357.
- سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص596؛ فشر، تاريخ أوربا، ج1، ص228؛ بيرين، تاريخ أوربا، ص143؛ نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج2، ص5؛ نعيم فرج، الحضارة الأوربية، ص148.

(3) البعض يرجع تاريخ التحالف بين لوبيك وهامبورج إلى عام 1230م،- أمثال بيرين وسعيد عاشور، ونعيم فرج، ولعل ذلك يرجع إلى أن العلاقات بين لوبيك وهامبورج قد سبقت تلك المعاهدة أو أنها سبقت بتشكيل تحالفات مؤقتة بين المدن الألمانية لحماية التجار من القراصنة واللصوص، كما سيتضح في المتن.

(4) Keutgen (F.), Urkunden Zur Stadtischen Verfassungsgeschichte (Emil Felber, Berlin, 1901), A. D. P. 521.
- See Also: Asfchenfeldt (ed.), Urkundenbuch der Stadt Lübeck Herausgegeben Von dem Vereine Für Lübeckische Geschichte, Erstertheil, Lübeck, 1843, P.96.

نصت على أن من حقهم التمتع بنفس الحقوق والقوانين الخاصة بأهل لوبيك، مع حماية الممتلكات الخاصة بهم، (فلهم الحق في القدوم إلى مدينتنا دون اعتقال مع التمتع بالأمن على أنفسهم وممتلكاتهم مثل مواطنينا تماماً). وفي عام 623هـ/ 1226م، وعد الإمبراطور فرديك الثاني Fredrick II (591- 648هـ/ 1194-1250م)[1]، بتحقيق الأمن لهم في أي مكان من لوبيك، ووعد بتذليل الصعوبات لهم عن طريق إصدار الأوامر، وكان ذلك أول اتصال للوبيك مع هامبورج[2]، وقد نصت اتفاقية الحماية بين هاتين المدينتين على أنه (إذا قام اللصوص أو أي من الرجال الأشرار بالتصدي لمواطنينا أو مواطنيهم من منبع نهر تريفا Trave[3]، وحتى مصبه في البحر إلى هامبورج، ومن على طول الإلب Elbe، وحتى البحر، فإذا ما هاجموا مواطنينا أو موطنيهم، فعلينا أن نتكاتف سوياً للقضاء على هؤلاء اللصوص بغض النظر عن التكاليف أو النفقات[4].

يتضح مما سبق أن هذه الاتفاقية كانت بمثابة اتفاقية دفاع مشترك بين البلدين من أجل التخلص من الاحتكار وكذلك اعترافاً من لوبيك، بأهمية هامبورج، التي برز نشاطها في التجارة وأعمال البحر من خلال مكاتبها في ميناء بروج Bruges، وكذلك تمثلت أهميتها الأولى في حركة التجارة العالمية لاسيما في قيامها بدور الوساطة التجارية بين التجارة الفلمنكية والروسية. ويتضح من خلال خطوط اتصالها بلوبيك من جهة والفلاندرز من جهة أخرى أنها أصبحت في المقدمةدوليا[5].

(1) فردريك الثاني: ولد في ديسمبر عام 1194م، في مدينة عيسى Jesi بالقرب من أنكونا. والده هنري السادس وريث العرش الألماني، أمه الأميرة كونستانس وريثة عرش صقلية، نشأ وتعلم بصقلية. عنه انظر:
- سعيد عاشور، **الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي**، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادي عشر، القاهرة، 1963م، ص ص195-213؛ عفاف صبره، الإمبراطورية والدولة في عهدي فردريك الثاني ولويس التاسع، ص ص75-83. ولمزيد من التفاصيل عنه انظر:
- Kantanwicz, Fredrick the Second, London, 1931.

(2) Kiesselabach, Die wirtschaftichen Grundlag en der deutschen Hanse, P. 95.

(3) تريفا Trave: نهر بألمانيا.

(4) Keutgen, Urkunden zur Stutische verassungsgechichte, A. D. 1241, P. 521.

(5) Kiesselabach, Die wirtschaftichen Grundlag en der deutschen Hanse, P. 95.

نصت الاتفاقية على أنه "إذا قام أي مجرم بقتل أو جرح أو ضرب أي من المواطنين أو حتى الإساءة إليه في هامبورج أو لوبيك"، فإن الاتفاقية تنص على أنه: "يجب أن نتكاتف معهم ويتكاتفوا معنا للقبض عليه لينال عقابه، ويضاف لهذا الشرط أنه لا يتم الأخذ في الاعتبار إذا كان ذلك حدث لمواطنيهم بالقرب من مدينتهم أو لمواطنينا بالقرب من مدينتنا فإننا يجب أن نقف موقفاً موحداً للقصاص ويكون ذلك على نفقة المدينة"[1].

يتضح لنا مما سبق مدى تحقيق المساواة في توفير الحماية لمواطني المدينتين بصرف النظر عما إذا كان الاعتداء قد وقع على أحد مواطني المدنيتين بالقرب منهما إلى جانب إقرارهما نصاً بما يخص النفقات الخاصة بالحماية والدفاع.

كما نصت كذلك على أنه: "إذا قام أي من مواطنيهم بارتكاب ما يستحق عليه العقوبة بالقرب من هامبورج فيجب علينا القبض على الفاعل أو المنفذين لهذا العمل وتسليمهم لهم لينال أو لينالوا العقوبة وعليهم أيضاً أن يقبضوا على الفاعل أو القائمين بذلك وتسليمهم لنا لينالوا العقوبة وتكون النفقة على حساب المدينة بالمثل"[2].

وبذلك نرى كيف أكدت اتفاقية الحماية على أهمية القبض على أي شخص أو أشخاص يقومون بارتكاب أي جريمة لتطبق عليهم العقوبة حتى يعم السلام والأمن بين المدينتين، وكذلك الاتفاق على حساب النفقات الخاصة بهذا الأمر حتى لا ينشب خلاف بينهما.

انضمت إلى هذا التحالف بعد قليل بعض المدن المجاورة أمثال فيسمار Wismar[3]، وروستوك Rostock[4]، ففي عام 658هـ/ 1259م قامت كل من لوبيك، وفيسمار وروستوك،

(1) Keutgen, Urkunden zur Stutische verassungsgeschichte, A. D. 1241, P. 521.
(2) Keutgen, Urkunden zur Stutische verassungsgechichte, A. D. 1241, P. 521.
(3) فيسمار Wismar: تقع مدينة فيسمار شمال غرب ألمانيا الشرقية، عند مدخل بحر البلطيق شرق لوبيك. عن ذلك انظر:
– مدخل بحر البلطيق شرق لوبيك. عن ذلك انظر:
- The New Encyclopedia, Vol. X, P. 715.
(4) سعيد عاشور: تاريخ أوربا، ج1، ص596.

بالاتحاد معاً في معاهدة لحماية الطرق البحرية، وفي عام 664هـ/ 1265م، قرروا عقد اجتماعات سنوية، وفي عام 682هـ/ 1283م، قامت لوبيك وفيسمار، وروستوك، وشترالسوند Stralsund[1]، وجرايفسفالد Greifswald[2]، شتيتين Stettin[3]، ديمين Demmin[4]، وأنكلام Anklam[5]، بإبرام معاهدة بشأن سلامة الطرق عبر أراضيهم وحمايتهم من سطو الأمراء[6]. وبذلك أخذ هذا التحالف في النمو تدريجياً بعد أن وجدت كثير من المدن الشمالية أن

كانت هناك مفاوضات أخرى بين هامبورج ولوبيك والمدن المجاورة لهما بشأن الحماية وحرية الحركة تمت في أعوام 1253م، 1255م، حتى تم توقيع معاهدة 1259م، عن ذلك انظر:

- Kiesselabach, Die wirtschaftichen Grundlag, PP. 96-97.

– عن بعض القرارات التي اتخذت بناءً على طلب مدن لوبيك وروستوك وفيسمار من أجل المساهمة في تدمير القرصنة في حوالي عام 1250م. انظر:

- Asfchenfeldt (ed.), Urkundenbuch der stadt Lübeck, Erster Theil, P. 155.

– عن التجارة والقرصنة والحروب ضدها في نهاية العصور الوسطى. انظر:

- Lloyd, England and the German Hanse, PP. 173-234.

– روستوك Rostock: تقع شمال ألمانيا الشرقية، عند مصب نهر Warnow، على بعد 8ميل (13كم) جنوب شرق البلطيق. عن ذلك انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. VIII, P.683.

(1) شترالسوند Stralsund: تقع شمال شرق ألمانيا الشرقية، عند مضيق Stralsund، وفي الجهة المقابلة لجزيرة روجن Rugen. عن ذلك انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. IV, P.599.

(2) جرايفسفالد Greifswald: تقع شمال شرق ألمانيا الشرقية، بالقرب من مصب نهر Ryck وهو نهر صالح للملاحة، الذي يصب في خليج بحر البلطيق، جنوب شرق شترالسوند. عن ذلك انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. IV, PP. 729-730.

(3) شتيتين Stettin: تقع شمال غرب بولندا Poland، على الضفة الغربية لنهر أودر Oder قرب مصبه، وتبعد حوالي 40ميل (65كم) من بحر البلطيق. عن ذلك انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. IV, P.750.

(4) ديمين Demmin: تقع شمال ألمانيا، في مواجهة بوميرانيا Pomerania، عند نهر Peene، على بعد 16ميل جنوب غربي Gripfwald. عن ذلك انظر:

- Brookes, The General Gazetteer, P.

(5) أنكلام Anklam: تقع شمال ألمانيا، على ضفاف نهر Peene، في الجزء الغربي من بحيرة شتيتين Stettin. عن ذلك انظر:

- Room (A.), Place names of World, 2005, P. 31.

(6) Colvin, The Germans in England, P. 35. =

صالحها العام يتطلب الانضمام إلى هذه العصبة League التي تزعمتها لوبيك Lübeck[1]. والتي أصبح لها السيادة على الدول المجاورة في بحر البلطيق. ويبدو واضحاً من كل تاريخ العصبة، أن مدن البلطيق الألمانية، كانت تستمد الدعامة من قوتها. فكانوا يمتلكون احتكار التجارة الروسية من ناحية؛ ومن جهة أخرى تمكنوا من التحكم والسيطرة على مضيق البلطيق. بحكم امتلاكهم وسيطرتهم على الركائز اللازمة للقوة البحرية والذي يتمثل في الأخشاب اللازمة للصواري والألواح والأقواس، والقار والقنب والكتان.

ولم يكن ذلك فقط وإنما كان لتواجدهم في نوفجورود، أن أصبحوا على اتصال بالطريق العظيم والذي عن طريقه حملوا إلى محطاتهم التجارية، الفراء، والصوف الجيد، والذرة، والشمع، والخيول من روسيا وسيبيريا Siberia[2]، والحرير، والتوابل من تركستان Turkestan، والصين China.

وعلى الجانب الغربي كانوا يحتكرون صيد أسماك الرنجة المتمركزة آنذاك في بحر البلطيق؛ حيث تنتج كميات هائلة من سمك القديد المملح، والتي كانت ضرورية في أوربا الكاثوليكية[3]،

= – دارت أيضاً مفاوضات بين هذه المدن في أعوام 1260م، 1273م، 1281م. عنها انظر:
- Kiesselabach, Die wirtschaftlichen Grundlag en der deutschen Hanse, PP. 97-99.

(1) سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص596.
– يرجع ذلك إلى ما تتمتع به لوبيك، من موقع جغرافي متميز جعلها تمثل تقاطع العديد من الطرق التجارية الرئيسية في أوربا الشمالية، بالإضافة على توسط المدن الألمانية إذ كانت المدينة ذات موقع متميز كمكان للاجتماعات ومشاورات المدن الألمانية إذ تمكنت تلك المدن من الوصول إليها بسهولة. عن ذلك انظر:
- Daenell, Die Blütezeit Der Deutschen Hanse, PP. 6-8.

(2) سيبيريا Siberia: هي منطقة واسعة من الاتحاد السوفيتي، تحتل كل شمال آسيا بين جبال أورال غرباً والمحيط الباسفيكي شرقاً وتمتد جنوباً من المحيط القطبي الشمالي إلى منتصف التلال الشمالية وسط كازخستان وإلى حدود الجمهوريات المتحدة السوفيتية مع منغوليا والصين. عن ذلك انظر:
- The New Encyclopedia, Vol. X, P.178.

(3) بعد أن أصبحت أوربا كاثوليكية، أصبح هناك إقبال كبير على السمك المملح نظراً لأن المسيحيين يستخدمونه في أيام الصيام والأعياد كذلك، لذا أصبحت صناعة السمك المملح وبيعه من الصناعات الرائجة جداً في أوربا العصور الوسطى. عن ذلك انظر:
- Zimmern, the hansa Towns, P. 26.

وكانت شركاتهم هي التي تتحكم في تجارة الحبوب؛ بل إنهم كانوا يسيطرون على مناجم الحديد في الدول الاسكندينافية. وقد تم لهم اكتشاف سر الملح الصخري عن طريق روسيا التي عرفته من الصين، ويقال أن سفنهم كانت أول من اتجهت إلى حمل السلاح إلى أوربا[1].

وقد بقيت لوبيك، على رأس دول الاتحاد. وكان نواب المدن يجتمعون بصورة دورية في الأيام العادية للهانزا عند عقد الجمعيات. ونظمت الهيئات الكبرى من الجنود المرتزقة بالأجر. وقد نظمت الإدارات بشكل مثير للإعجاب سواء كانت إدارات عسكرية وبحرية تحت إشراف السلطات التي تخضع في نشاطها عموماً خاصة الحربي إلى لوبيك.

وقد تم تقسيم الاتحاد الهانزي، إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: المدن الوندية Wendish[2]، (أو المدن الواقعة على شاطئ البلطيق)، من لوبيك، وتضم هامبورج، والمدن البحرية من بوميرانيا Pomerania[3]، ومكلبنورج Meclenburg[4].

---

(1) Colvin, The Germans in England, PP. 33-34.

- لمزيد من التفاصيل عن السلع التجارية التي تداولتها العصبة الهانزية. انظر:

- Hartmeyer, Der Weinhandel in Gebiete der Hanse, PP. 1-2.

(2) الونديون: هو الاسم الذي أطلقه الألمان على القبائل السلافية التي استقرت جنوب بحر البلطيق واحتلت المنطقة الواقعة بين نهر الإلب Elabe والسال Saale غرباً ونهر أوردو في الشرق، وكان للاسكندينافيين محاولات مبكرة لإخضاعهم، حاربهم الألمان منذ القرن السادس الميلادي حتى تمكنوا من إخضاعهم وتنصيرهم في القرن الثاني عشر الميلادي بفضل الأمراء السكسون. عن ذلك انظر:

- السيد الباز العريني، تاريخ أوربا العصور الوسطى، بيروت، د. ت، ص ص427-428، 430.

(3) بوميرانيا: عبارة عن شريط ساحلي ضيق إلى الغرب من بورسيا، وامتد على طول السواحل الجنوبية لبحر البلطيق، من نهر فستيولا شرقاً وحتى نهر أوردر غرباً. وجنوباً كانت تحدها مملكة بولندا ومقاطعة براندنبرج التابعة لألمانيا. عن ذلك انظر:

- محمد السيد صديق، منظمة الفرسان التيوتون، ص62.

(4) مكلنبورج Meclenburg: كانت في السابق ولاية ألمانية ومنطقة تاريخية تقع على بحر البلطيق، وتضم الآن مقطاعات روستوك، وشفرين و Neubrandenburg وهي من جمهورية ألمانيا الديمقراطية. عن ذلك انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. VI, P.741.

القسم الثاني: هو القسم الكولوني Colognian، مع مدن فريزلاند Friesland[1]، وستفاليا Westphalia، والدول المنخفضة Low Contries.

القسم الثالث: هو قسم برونسويك Brunseick[2]، ويتألف من جميع المدن الواقعة بين فيسر Weser، والإلب Elbe.

القسم الرابع: هو القسم البروسي Prussian، مع دانزيج Danzig[3]، التي تعتبر عاصمة ومركزاً لكل المدن التجارية التي تقع شرق نهر الفستولا Vistula[4].

وعموماً فإن هذا الاتحاد قد أخذ في الاتساع رويداً رويداً حتى شمل محيطه جميع المدن المهمة من نوفجورود في روسيا إلى بروج في بلجيكا حالياً. غير أنه ظل اتحاد من التجار فقط؛ ولم يكن للنبلاء الإقطاعيين أو أصحاب المهن الصناعية شيء من السلطان على هذه الجمهوريات التجارية؛ بل لم يصبح تجارها من أهل السياسة إلا صدفة واضطراراً لحل المشاكل التجارية[5].

يتضح لنا مما سبق أنه من منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كانت الرابطة الهانزية Hanseatic League، قد اتحدت بالفعل، بالرغم من أن هذا الاسم للعصبة أو الاتحاد لم يحدث إلا في وقت لاحق[6]. وذلك عندما ارتبطت هذه المدن كلها بالاتحادات الخارجية التابعة لها،

---

(1) فريزلاند Friesland: مقاطعة ساحلية تقع شمال هولندا وتمتد داخلياً من Ijsselmeer غرباً، وبحر الشمال شمالاً، وتشمل أربعة جزر هي الجزر الفريزية الغربية الصغيرة قبالة الساحل الشمالي. عن ذلك انظر:
- The New Encyclopedia, Vol. IV, P.325.

(2) برونسويك Brunswick: تقع مدينة برونسويك غرب ألمانيا. عن ذلك انظر:
- The New Encyclopedia, Vol. II, P.323.

(3) دانزيج: تتميز بأنها تطل على بحر البلطيق ونهر فستيولا، (في شرق بوميراليا) وهي واحدة من أهم موانئ بحر البلطيق.
- عن ذلك انظر: سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص627.

(4) Keppen, The world in the middle ages, Vol. II, PP. 482-483.
- Colvin, The Germans in England, PP. 35-36.
- نهر الفستولا Vistula: يُعد نهر الفستولا أكبر نهر في بولندا Poland، ويقع عند مدخل البلطيق، وهو مركز اقتصادي مهم يربط بين النهر والقناة في شرق أوربا. عن ذلك انظر:
- The New Encyclopedia, Vol. X, P.463.

(5) فشر، تاريخ أوربا، ج1، ص228؛ نعيم فرج، الحضارة الأوربية، ص148.

(6) Zimmern, The Hanse Towns, P. 26.

مما أدى إلى نشأة ما يعرف بإسم العصبة الهانزية (حوالي 1350- 1370م) وهي العصبة التي أصبح لها أربعة مراكز كبرى في نوفجورود Novgorod، ولندن London، وبروج Bruges، وبيرجن Bergen[1]. كما ذكرنا سابقاً، وكما سيتضح لنا بصورة أكثر وضوحاً لاحقاً.

كما يتضح لنا أيضاً أهمية الدور التجاري والاحتكاري الذي قامت به مدن العصبة الهانزية في العصور الوسطى خاصة في أوربا الشمالية.

3- تجنب الصراع الحربي بين المدن الألمانية وأثره على نمو الهانزا:

كان تاريخ الألمان خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين يتصف بتداخل الأحداث والتعقيد؛ خاصة بعد اختفاء الإمارات الكبرى بها والتي قامت على أساس قبلي عنصري، إضافة إلى قيام عدد كبير من صغار الأمراء بالدخول مع بعضهم البعض في منازعات لا حصر لها تحقيقاً لأغراضهم الشخصية فحسب حتى شهدت هذه الفترة تحرر بعض المدن من سيطرة الأمراء الإقطاعيين[2]، حيث أخذت هذه المدن تعمل على تعزيز نفوذها وامتيازاتها تحقيقاً لمصالحها الخاصة. في الوقت الذي لم يعد للإمبراطور نفوذ سوى نفوذ اسمي مكتفياً باستغلال وظيفته

(1) سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص ص596-597.
عن مراكز العصبة الهانزية الخارجية. انظر أيضاً:
- Keppen, The world in the middle ages, P.483.
- Postan, the Cambridge economic history of Europe, Vol. III, P.106.

(2) قد أدى النظام الإقطاعي- في ظل سيطرة الأمراء الإقطاعيين- إلى وجود وحدات اقتصادية تكفي نفسها بنفسها، فالضيعة الإقطاعية كانت في حد ذاتها وحدة مكتفية اكتفاءً ذاتياً، الأمر الذي عاق تقدم الحياة الاقتصادية في بلدان غرب أوربا. عن ذلك انظر:=
= - سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج2، ص61.
- قد قام النظام الإقطاعي على مجموعة من الحقوق والواجبات، متضمناً نفقات باهظة تجاه السادة- لمعرفة الواجبات والالتزامات الإقطاعية. انظر:
- Fulbert of Charttes, Fulberti Episcopi Carnotehsis Epistolae, No. XXXVIII, in: M. Bouquet, Pecueil des Historiens des Gaules et de la France, X, 1760, P. 463.
- للإطلاع على بعض صور النفقات الإقطاعية تجاه السادة انظر:
- Agreement between the count of Hainault and the Bishop of Liege, 1076: Gislebert of Mons, Chronicon Hanoniense, ed. L. Vanderkindere (Brussels, 1904), P. 13-14.

الإمبراطورية من أجل الحصول على بعض المكاسب الشخصية له ولأفراد البيت الإمبراطوري[1]، ولم يعد يعينه خروج تلك المدن واستقلالها.

لذا فقد أخذ اتحاد الهانزا Hanse، يعمل على تجنب الصراع الحربي بين المدن الألمانية الناشئة حفاظاً على المصالح التجارية وحتى يتجنبوا صراعات وحروب طويلة مثل التي عانت منها إيطاليا في الصراع بين البابوية والإمبراطورية[2].

ونستطيع أن نؤكد هنا – بلا شك – أن هذه المدن الألمانية الناشئة لم تسع إلى الصراع فيما بينها؛ وتجنب أي صراع حربي؛ بل بالعكس من ذلك قامت بالتحالف من أجل تحقيق الحماية لنفسها وهو ما تؤكده الحقيقة التاريخية إذ حدث في عام 658هـ/ 1259م أن قامت كل من لوبيك، وفيسمار، وروستوك، بالاتحاد معاً في معاهدة من أجل حماية الطرق البحرية، وفي عام 682هـ/ 1283م، قامت كل من لوبيك، وفيسمار، وروستوك، وشترالسوند، وجرايفسفالد، وشيتين Stettin، ديمين Demmin، وإنكلام Anklam، بإبرام معاهدة بشأن سلامة الطرق عبر أراضيهم والحماية من الأمراء[3]. الأمر الذي يجعلنا نؤكد على أن هذه المدن قد أدركت أهمية التحالف فيما بينهما من أجل الحماية وتحقيق التفوق التجاري في نفس الوقت.

لقد أثر تطور المجلس الحاكم لهذه المدن وكذلك تطوير القوانين الموحدة التي تحكمها إلى النمو السريع للهانزا. وفي الوقت الذي حدث فيه توسع سريع كانت القوانين المدنية تنقل من مدينة إلى أخرى عن طريق المهاجرين الألمان، وهذا قد أحدث توحداً غير مسبوق في النظام التجاري الجديد[4]. وهنا قدمت لوبيك، خير مثال على ذلك.

---

(1) سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص577.

(2) قد مر النزاع بين البابوية والإمبراطورية بعدة أدوار، وانتهى هذا النزاع بعجز الأباطرة عن إخضاع البابوية وإدخالهم تحت سيطرتهم. ولعل انتصار البابوية يعود إلى أن الأباطرة ظلوا يستندون إلى أحلام الماضي ومجد أسلافهم القدامى، دون أن يحسبوا حساباً لروح العصور الوسطى وعصور الإيمان والدين. بعكس البابوات الذين كانوا يستندون إلى دعائم أقوى وأكثر تغلغلاً في نفوس الناس، لأنهم استمدوا قوتهم من نفوذهم الروحي وما للدين من سلطان كبير على قلوب الأفراد. عن ذلك انظر:
- سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص ص354-405.

(3) Colvin, The Germans in England, P. 35.

(4) Quesenbery, the Institutional Success of the German Hansa, P. 8. =

ففي حين أن القوانين الإدارية لهذه المدينة تم اقتباسها من سوست في ويستفاليا Soest in Westphalia، إلا أنه تم العمل بها كمعيار قانوني لجميع المدن المطلة على ساحل البلطيق Baltic في إستونيا Estonia[1].

لم يقتصر دور المهاجرين الألمان فقط على حدود الأراضي الألمانية بل تعداها حتى اخترق المجتمعات الاسكندينافية بصورة شاملة حتى أصبح القانون الألماني والعادات الألمانية ومفهوم مجلس المدينة معياراً يعمل به في العديد من المدن الرئيسية مثل شبه جزيرة جوتلاند Gotland، والسهول السويدية Swedish وفي الساحل الغربي للنرويج Norwegian.

وفي عام 649هـ/ 1251م، ساهمت ألمانيا في إبراز مكانة ستوكهولم Stockholm.

ومن خلال التوافق الحاصل بين القانون والحضارة حدث تقدم منظم للمصالح الألمانية في المناطق الجديدة مما مهد الطريق إلى التنظيم التجاري للهانزا[2].

ومع نمو الطبقة البرجوازية التي أخذت تعمل على قدم وساق من أجل الحصول على الحرية والتي شعرت بفوائد هذه الروح الجديدة، التي تعلموها واستطاعوا من خلالها أن يحصلوا على

عن بعض البراءات التي منحت للمدن بما تضمنه من حريات وامتيازات. انظر: =

- Archbishop Thurstan's Charter to Beverley, in: Stubbs, Select charter of English, A. D. 1130, PP. 131-132.
- Charter of Henry I to Rouen, in: Gross, The Gild Merchant, Vol. I, About. A. D. 1150, P. 292.=
- King John's Charter of Privileges to Dunwich, in: Stubbs, Select Charter of English, A. D. 1200, P. 308.
- Liberties of London, in: Thorpe, Ancient Laws and Institutes of England, A. D. 1115, P. 462.

(1) Quesenbery, the Institution Success of the German Hansa, P. 8.

- يرى بيرين أن هذا الأمر ينطبق على مدن ألمانيا فحسب؛ إذ يرى أنه من الخطأ الذي كان يتكرر دائماً هو وصف هذه المدن بأن جميعها كافة على شاكلة واحدة، ووسمها بشكل واحد منفرد، كما كانت مدن فرانكفورت على المين والبندقية وفلورنسا وبروج. ولقد اعتمدت التصميمات التي جاءت في كتابات "اقتصاديات البلدان" Stadtwirtschaft، والتي أفاضت فيها المدرسة الألمانية بذكاء ومعرفة، بدون شك، اعتمدت على بعض الملامح الحقيقية، ولكنها أهملت الكثير منها، مما جعل من المستحيل أن نعترف بالنتائج التي توصلوا إليها دون إجراء تصحيح ملحوظ.= =ولقد صب مؤلفوها أفكارهم كلية على ألمانيا وعمموا بتعسف على كل أوربا نتائج لا تنطبق فقط إلا على بعض البلاد شرق الراين.
- عن ذلك انظر: بيرين، تاريخ أوربا، ص ص162-163.

(2) Quesenbery, the Institution Success of the German Hansa, P. 11.

الاحترام لهم؛ بل والحصول كذلك على المساعدات من السادة المستبدين الذين دأبوا على استغلالهم حتى تمكنوا من أن يحوزوا على المكانة والاحترام بينهم. فكانت كولونيا Cologne – نتاجاً لتلك الحركة التحريرية – من أوائل المدن وأقدمها التي حصلت على التحرر والاستقلال[1]. ففي القرن الثاني عشر الميلادي كانت كولونيا، أكثر المدن الألمانية تقدماً اقتصادياً وسياسياً، حيث أنها على سبيل الاستثناء، قامت بها التنمية البلدية وواصلت النمو من دون معارضة جدية من الأسقف المحلي بها. قبل عام 494هـ/1100م، كانت نقابة التجار بالمدينة مزدهرة، وخلال الخمسين سنة المقبلة أخذت شكل منظمة قومونية Communal تحت القضاة Magistrates المنتخبين[2]. وقد مثلت كولونيا، أحد أركان قوة الهانزا، قد ظهر ذلك في الأنشطة الأولية لتجارها.

كانت كولونيا ترجع في أصولها إلى التاريخ الروماني؛ وشكلت واحدة من أقدم أعضاء الرابطة الهانزية. وتقع تلك المدينة على بعد مائتي كيلو متر في الداخل، شرق البلاد التي تصنع الثياب الفلمنكية، وكان موقع المدينة المميز يؤهلها للمشاركة في تجارة الهانزا الجنوبية مع الإيطاليين وتجارة الهانزا الشمالية والتي تشمل تجارة الصوف المزدهرة مع إنجلترا[3].

قد تم لكولونيا المشاركة في هذه التجارة النشطة من خلال ما حصلت عليه من امتيازات من الملوك في الخارج، خاصة في إنجلترا حيث قام ملوكها بمنحهم الحماية والامتيازات الضريبية.

من ذلك قيام الملك هنري الثاني Henry II (540- 558هـ/ 1145- 1189م)، ملك إنجلترا، بوضع تجار كولونيا تحت حمايته في عام 552هـ/ 1157م، إذا أصدر أوامر إلى القضاة وجميع مسئولي إنجلترا بضرورة قيامهم بتوفير الحراسة والحماية للتجار والمواطنين من أهل كولونيا حيث أنهم خاصته وأصدقائه وحذرهم من عدم تطبيق نصوص القانون على كل من يخالفه

(1) Zimmern, the Hansa Towns, PP. 34-35.
يمكن القول أن الفترة الواقعة بين عام 1075م وهي السنة التي نجحت فيها ثورة كولونيا ضد أسقفها وسنة 1183م وهي السنة التي حصلت فيها مدن الحلف اللومباردي على حقوقها في الحكم الذاتي من الإمبراطور فردريك بربروسا تصور البطولة في تاريخ نشأة المدن في أوربا، العصور الوسطى، عن ذلك انظر:
- Thompson (J. W.), The Middle Ages, Vol. 2, London, 1931, P.737.
(2) Stephenson, Medieval History, P.325.
(3) Quesenbery, the Institutional Success of the German Hansa, P.12.

بشدة[1].

ونظراً لكثرة الضرائب والمكوس التي كانت تفرض على التجار وعلى حركة المرور في أوربا العصور الوسطى، فإن تجار كولونيا سعوا لطلب الحماية في مثل هذه الحالات لذا نجد الملك هنري الثاني يؤكد على موظفيه ضرورة الاكتفاء بأخذ الرسوم القانونية من تجار كولونيا فقط دون زيادة[2]. كما سعوا إلى الحصول على امتيازات تمكنهم من حرية ممارسة البيع؛ إذ حصلوا على حقوق متساوية مع الفرنسيين في بيع الخمور[3]. فقد أكد هنري الثاني في امتيازه لرعايا كولونيا على حقهم في بيع خمورهم في السوق التي تباع فيها الخمور الفرنسية، وذلك مقابل ثلاثة دنيير Denarii[4]، مع منعهم من التعرض لأحد بضرر أو أذى[5].

سعى تجار كولونيا للحصول على الإعفاءات الضريبية والجمارك لأن ذلك شكل أمراً مهماً لهم، من ذلك تحرير الملك ريتشارد الأول Richard I (585- 596هـ/ 1189-1199م)[6]، مواطني كولونيا وبضائعهم من الضريبة التي تساوي صولدي Solidi، والتي اعتادوا على دفعها إلى مقر النقابة في لندن، ومن جميع الرسوم والمتطلبات التي تتعلق بمدينة لندن وجميع البلاد في إنجلترا، كما تم منحهم حرية الذهاب والإياب داخل إنجلترا وأن يشتروا ويبيعوا في المعارض

(1) Protection of the Men of Cologne at London, in: Lappenberg, Urkundliche Geschichte, Part II, A. D. 1157, P.3.
(2) Lappenberg, Urkundliche Geschichte, Part II, A. D. 1157, P.3.
(3) Cave, Coulson, A source Book, P. 220.
(4) الدنيير denarii: عملة كانت تعرف أحياناً باسم Penny، سكت في العصور الرومانية القديمة أيام الحرب البونية، وحلت محل الدارخمة وأصبحت العملة الفضية الرئيسية عنها انظر:
- Cave, Coulson, A source Book, P. 425.
(5) Privilege of the Men of Cologne at London, in: Lappenberg, Urkundliche Geschichte, Part II, A. D. 1157, P.4.
(6) ريتشارد الأول: تولى عرش انجلترا خلفاً لأبيه هنري الثاني، ولقب بقلب الأسد، كما لقب بالملك الغائب لكثرة غيابه عن إنجلترا خلال معظم سنوات حكمه، وقد شارك في الحملة الصليبية الثالثة، (1189-1192م) والتي انتهت بعقد صلح الرملة مع صلاح الدين بعد ما سمع بالمؤامرة التي حيكت ضده من فيليب أغسطس ملك فرنسا؛ إلا أنه حين عودته وقع أسيراً في يد ليوبولد دوق النمسا = =الذي سلمه لهنري السادس إمبراطور ألمانيا وظل أسيراً إلى أن جمعت له حكومته فدية لإطلاق سراحه عام 1194م. وما كاد ينعم بحريته حتى خاض حرباً ضد ملك فرنسا استمرت خمس سنوات حتى لقي حتفه عام 1199م. عن ذلك انظر: سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص ص262-263؛ نظير سعداوي، تاريخ انجلترا، ص ص92-93.

في مدينة لندن وفي أي مكان آخر داخل المملكة[1].

كان لهذه الامتيازات التي حصل عليها تجار كولونيا في لندن أهمية كبيرة من الناحية التجارية من جهة، ولتنمية الهانزا من جهة أخرى، مما يدل على أن المدن الألمانية الهانزية لم تتصارع فيما بينها؛ بل شكلت جبهة متحدة لرعاية مصالحها التجارية داخل إنجلترا وفي غيرها من الأماكن الأخرى.

ففي إنجلترا برهن تجار الهانزا على حرصهم على تنميتها. فقد اشتغلوا بالتجارة هناك لمدة عقود قبل نشأتها، ومن ثم فإن تجار كولونيا أمنوا الحقوق التجارية الأولى ذات الأهمية الكبيرة مع ملوك إنجلترا. وبتأسيس لوبيك، في عام 553هـ/1158م، فإن سكان ألمانيا الشماليين بالبلطيق، تجرءوا على العمل بالتجارة مع إنجلترا وفي ذلك الوقت سعوا إلى امتيازات تجارية خاصة مثل التي حصل عليها تجار كولونيا.

وفيما يتعلق بمصلحة التجار الإنجليز فإنه من خلال عملية الاتحاد البارعة تم تطوير مفهوم الهانزا الألمانية الموحدة لأول مرة. وعندما اعترض التجار الإنجليز غير المستفيدين من هذه المزايا على المعاملة الخاصة للأجانب، قام تجار ألمانيا بعمل جبهة موحدة تحت مسمى الهانزا Hansa، وطالبوا جميعاً بحماية المزايا الملكية التاريخية التي حصلوا عليها. وقد صدق ملوك الإنجليز مباشرة على هذه الوحدة وساوموهم جميعاً. وحيث أن إنجلترا كانت شريكاً كبيراً في التجارة عبر الطريق الشمالي العظيم وإلى جانب تخومها الجنوبية لذلك فإن الامتيازات الأولى التي حصلت عليها كولونيا تؤكد أهميتها الحيوية في نمو الهانزا[2].

(1) Tax Privileges of the Men of Cologne In England, in: Lappenberg, Urkundlich Geschichte, Part II, A. D. 1194, P. 5.

- عن الامتيازات التي حصلت عليها الهانزا في الفترة (1157- 1361م) وعلى رأسها تجار كولونيا في لندن. انظر:

- Lloyd, England and the German Hanse, PP. 13-49.
- Bjork, Three Hansa towns, PP.298-299.
- Margrit (S.B), Networks of the Hanseatic League, in: EHO, 2012, PP.3-6.

(2) Quesenbery, the Institutional Success of the German Hansa, P. 12.
- See Also: Bjork, Three Hansa towns, P.298.

لذلك نرى ونؤكد في نفس الوقت على أن مدن ألمانيا أدركت أهمية الاتحاد بالنسبة لها لخدمة مصالحها التجارية فلم يقم صراع حربي بينها، حتى أنهم قاموا بالترابط في جبهة موحدة للمطالبة بحماية المزايا الملكية التاريخية التي حصلوا عليها.

استفاد الألمان من الإيطاليين في معرفة المعنى الحقيقي للحرية، وفضل معرفتهم كذلك للمؤسسات البلدية، والتي ظهرت في لومبارديا Lombardy، والتي ترجع إلى جذور جرمانية شكلت معالمها الأساسية وقد جعلت منها الخيار لحكام المدينة؛ حيث كان يتم اختيار أصلح العناصر لحكم المدينة؛ مع إعطائهم الحق في حكم أنفسهم بأنفسهم.

علاوة على ذلك، أنهم تعرفوا على مبدأ أن القرار النهائي يجب ألا يقع على عاتق شخص بعينه، ولكن على مجموعة من الأشخاص. فقد كان هذا الحكم الذاتي يشمل ما يتعلق بالشئون الداخلية، وأصبح يقوم على نماذج إيطالية، فمن خلال أجيال متعاقبة تم اتحاد المدن الألمانية في العصبة الهانزية Hanseatic League، وذلك على غرار الاتحادات الإيطالية أو اللومباردية[1]، ومع ذلك، كان هناك اختلافاً فيما بينهما، إذ على عكس مدن لومبارديا[2]، فإن الألمان اعترفوا بسيادة الإمبراطور[3].

نمت الامتيازات البلدية التي حصلت عليها المدن في القرن الثالث عشر الميلادي، من سادتها مقابل ما منحوهم من أموال؛ لكن مع تزايد مطالب هؤلاء السادة أصبح من الصعب تقديم المساعدات النقدية مما أدى إلى الصراع والحروب المفتوحة بينهم وبين سكان المدن وكان النجاح

(1) Zimmern, The Hansa towns, P. 40.

(2) قد رفضت المدن اللومباردية تدخل الإمبراطور فردريك في شئونها بشدة وذلك عندما حاول تأكيد سلطته عليها فحاربوه حتى منى بهزيمة ساحة في لينانو عام 572هـ/1176م، من قبل الحلف اللومباردي بمساعدة البابا اسكندر الثالث، وتم إرساء السلام لعدة سنوات فيما بعد في كونستانس، بعد أن تم توقيع معاهدة كونستانس Constance في عام 579هـ/1183م. عن ذلك انظر:=

- = The Treaty of Constance, in: Cave, Coulson, A Source Book, P. 205.

عن نص معاهدة كونستانس وما تضمنته من شروط انظر:

- Borsiere (G. B.), Chronicon Tolosani, Canoniei Faventini, in Documenti di Storia Italiana, Vol. VI, Florence, 1876, A. D. 1183, P. 780.

(3) Zimmern, The Hansa towns, P. 40.

حليف الأخيرين حيث دمرت معاقل هؤلاء السادة، واستولت المدن على مواقع قلاعهم القوية، والتي كانت تحميها الأبراج Burges، وأصبحت مراكز متمتعة بالحكم الذاتي، وقام السكان بإعلان ثورتهم، وانتزعوا الكثير من الحقوق والحريات بالقوة إذ أنه ما لم يتم التمكن من الحصول عليه بالمال استولوا عليه بالقوة[1]، ولم يحدث إلا نادراً في القرن الثالث عشر، أن تم محاصرة المدينة من قبل سيدها الإقطاعي – وهذا الحصار، مثلما حدث في تروي Troy – كان يستمر لعدة سنوات.

ونظراً لأن المدن كانت تتميز بثروتها فكانت هي المنتصرة في معظم الأحيان، بل أنها كانت تقوم بوضع شروط السلام على عدوها وتلزمه بتوفير الدفاع عن ممتلكاته الخاصة عن طريق استئجار من يقومون له بذلك.

قامت كثير من المدن بشراء الأراضي الخارجية من الأمراء، وكذلك الغابات، والمناجم، والملاحات، وكذلك الطرق الرئيسية ومجاري المياه وأي شيء في وسعهم الحصول عليه مما يساعدهم في التقليل من الأخطار والتي ربما تتسبب في إعاقة تجارتهم. فقد طالبوا بتقليل الرسوم أو الضرائب، مع الحق في امتلاك عملة نقدية[2].

عندما شعرت البرجوازية بقوتها ورأت ضعف الإمبراطورية أدركت قيمة إنهاء أي خلافات أو اضطرابات، وبدأت في التحالف فيما بينها، بهدوء وعدم المباهاة أو التفاخر بمثل هذه التحالفات وذلك من أجل الحفاظ على السلام في المناطق المجاورة ووأد أي نزاع في مهده، ومن أجل الحفاظ على الطرق التي تم تطهيرها من اللصوص، والتخلص من أي رسوم قد تفرض عليهم من قبل السادة الإقطاعيين، ولمواجهة أي شيء آخر يمكن أن يمس "الحرية المشتركة للتاجر"[3].

---

(1) Zimmern, The Hansa towns, P. 42.
(2) Zimmern, The Hansa towns, PP. 42-43.
(3) Zimmern, The Hansa towns, P. 43.

– قد استعانت المدن على تحقيق ذلك بما حصلت عليه من حقوق وحريات من الملوك، مثلما حصلت عليه لوبيك من فالديمار الثاني Waldemar II، ملك الدانمارك عام 1203م،= =وتأكيده كذلك في العام التالي على جميع الامتيازات والحريات التي تلقتها لوبيك من سيدها السابق، عن ذلك انظر:

- Asfchenfeldt (ed.), urkundenbuch der stadt Lübeck, Erster theil, PP. 16-19.

كانت هناك نظرة ترى أن هذه التحالفات تخالف القوانين الخاصة بالإمبراطورية الألمانية[1]. ففي الاجتماع الذي عقد في ورمز Worms، في عام 629هـ/ 1231م، أعرب الأمراء عن استيائهم من البطولات الملحوظة أو التفوق الملحوظ لمثل هذه الاتحادات، والتي تم الاعتراف بخطرها الواضح لذا تم حظرها نظراً لظهور قوة المنافسة، وبرغم أن المدن بدت مضطربة قليلاً نتيجة لهذا الحظر. إلا أنها أقرت واعترفت من جانبها بأنه قد حان الوقت من أجل تأسيس الاتحاد، وأنه لابد من التضامن معاً من أجل مواجهة القوى، لذلك عمقوا عرى الاتحاد بينهم أكثر وأكثر، خاصة عندما اتقنوا أن الإمبراطورية مهددة من الداخل وأنها تمر بحالة ضعف يظهر وينذر بسقوطها وتفككها[2].

وهكذا نرى أن الرابطة الهانزية أخذت في التكون والنمو لكن ببطء وحذر حتى أصبحت ذات قوة شعبية مستقلة وأصبحت دولة داخل الدولة[3].

غدت لوبيك تمثل مركزاً إدارياً رئيساً للهانزا، تلك المدينة التي أسست خصيصاً لتشجيع التجارة. وكانت هذه المدينة تقع أسفل شبه جزيرة جوتلاند Gotland، والتي كان يمر بها الطريق البري الذي يربط بين بحري البلطيق والشمال. وقد نمت لوبيك في فترة قصيرة وأصبحت مدينة إمبراطورية رئيسية على البلطيق ثم تزعمت بعد ذلك المدن المجاورة لها. حتى بعد إنشاء طريق ملاحي مباشر بحذاء الطريق البري بالمدينة فإن لوبيك حافظت على مكانتها القيادية.

وفيما يتعلق بتجارة لوبيك فقد كان لهم نشاطهم في التجارة الرائجة عبر البحر وفي مجال صادرات الحبوب من أودية الإلب Elbe[4]. وبالتحالف مع المدن الوندية Wendish، المجاورة فإن تجار لوبيك نجحوا في إدارة الحركة التجارية للهانزا بنجاح وفقاً للإستراتيجيات والخطط المعدة

(1) كان الوجود الأساسي للاتحاد غير قانوني، ويعد مخالفاً مباشرة لأحد فقرات الدستور الذي عرف بالوثيقة الذهبية Golden Bull، والذي حظر وحرم وجود جمعيات واتحادات داخل الإمبراطورية. عن ذلك انظر:
- Zimmern, The Hansa towns, PP. 82-83.

(2) Zimmern, The Hansa towns, P. 43.

(3) Zimmern, The Hansa towns, P. 46.

(4) عن سياسة لوبيك Lübeck في علاقتها بمنتجي الحبوب، وتطويرها لتجارة الحبوب. انظر:
- Hansen (J.), Beitrage Zur Geschichte des Getreidehandels und der Getreide Politik Lübecks, Band. I- Heft. I, Lübeck, 1912, PP. 1-17.

لتعزيز احتكار التجارة الشمالية والحفاظ عليها[1].

وحتى تتمكن مدينة لوبيك، من تحقيق ذلك فقد سعت إلى الحصول على امتيازات تجارية لمواطنيها وتجارها في الخارج وفي واحدة من أقدم المصادر التي تتبع الحريات الخاصة بلوبيك، وجدت وثيقة فردريك الأول Fredrick I (547- 586هـ/ 1152- 1190م) التي ذكر فيها الحقوق التي حصلت عليها تلك المدينة من قبل هنري Henry، دون سكسونيا Saxony. وقد ذكرت الجمعيات التجارية في القرن الثاني عشر للمدينة الحقوق نفسها[2].

منحت تلك الوثيقة التي صدرت في 584هـ/ 1188م سكان مدينة لوبيك، حرية الذهاب والإياب بحرية وهم آمنون على بضائعهم على طول الدوقية في سكسونيا دون دفع ضريبتي Hanse و Thelony[3]، باستثناء إرثنبرج Ertheneborch، الذين كانوا يدفعوا خمسة دنيير denarii، لمرور العربات[4].

ولعل هذه الامتيازات تتزامن مع انتقال زمام المبادرة في تجارة البلطيق، فجأة إلى الألمان وذلك تقريباً في عام 597هـ/1200م (القرن الثالث عشر الميلادي).

وبقدر ما نرى أن هذا كان نتيجة للخداع السياسي، فإن رغبة هنري الأسد Henry The Loin، دوق سكسونيا Saxony، في مساعدة مدينة لوبيك الحديثة قد أوجدت مجالاً للتوسع الاقتصادي للألمان[5].

نصت الوثيقة أيضاً على أنه يتسنى لأهل روثينرج Ruthenians، وجوتلاند Gothlanders، ورجال الشمال Northmen، وغيرهم آخرون من تجار المشرق الذهاب والإياب بحرية إلى تلك المدينة المذكورة دون أن يدفعوا ضريبتي Thelony أو Hanse[6].

(1) Quesenbery, the Institutional Success of the German Hansa, PP. 12-13.
(2) Charter of Frederick I to Lübeck, in: Cave, Coulson, A Source Book, P. 231.
(3) Thelony: هي رسوم تفرض على الصادرات والواردات. عن ذلك انظر:
- Cave, Coulson, A Source Book, P. 432.
(4) Sartorius, Urkundliche Geschichte, Vol. II, A. D. 1188, P. 9.
(5) Postan, the Cambridge economic history, Vol. III, P. 386.
(6) Sartorius, Urkundliche Geschichte, Vol. II, A. D. 1188, P. 9. =

يتضح لنا مما سبق أن هذه المدن وتجارها كانوا يسعون جاهدين من أجل الحصول على الامتيازات من الأمراء والملوك وبخاصة تلك التي تخلصهم – أو تخفف عنهم على الأقل – الضرائب والرسوم التي تفرض على الصادرات والواردات التي تعيق نشاطهم التجاري.

كان للمدن الهانزية، التي تترأسها لوبيك، هدفاً عاماً وهو الحصول على امتيازات لمواطنيها تمكنهم من التجارة في جميع الأقطار بحيث تساويهم قدر الإمكان بتجار هذه البلاد الأصليين. وبالطبع فإنهم حاولوا تأمين حقوقهم المستقلة على وجه الخصوص في الأسواق المركزية الواقعة على طريق التجارة بين نوفجورود وبروج. وأهم شيء في هذا الصدد تمثل في معرض سكانيا Scania، في سكانور Skanor[1]. فقد تم منح امتيازات السوق للوبيك من قبل الملك فالديمار المنتصر Waldemar The Victorious، ملك الدانمارك Denmark[2]، عام 600هـ/ 1203م، الذي سيطر بالغزو على كثير من أراضي البلطيق. وكان قادراً على منح الامتيازات لجنوب السويد Sweden، مركز التجارة المتوجهة إلى لوبيك، حيث شكلت سكانيا، جزءً من الأراضي الدانماركية حتى اتسعت تجارة لوبيك في بحر الشمال وفي غيره من المناطق الأخرى[3].

ونظراً لأن لوبيك كانت في حاجة إلى مثل هذه الامتيازات لتدعيم موقفها داخل السوق، لذا فقد منح الملك فالديمار مواطني هذه المدينة، داخل أسواق سكانور Skanor وFalsterbo الحق في بيع بضائعهم جملة وتجزئة وشراء ما يوجد للبيع هناك. وكذلك اختيار أي محام يرونه للفصل في الجرائم والأخطار ماعدا جرائم اليد والرقبة المسماة (hand and neck) وهذا القانون الخاص

= – وقد ظل دوقات سكسونيا يمنحون الامتيازات للوبيك؛ خاصة فيما يتعلق بالأمن والإعفاءات من بعض الرسوم مثلما حدث في عام 1241م. عن ذلك انظر:

- Asfchenfeldt (ed.), urkundenbuch der stadt Lübeck, Erster theil, PP.92-93.

(1) Postan, the Cambridge economic history, Vol. III, P. 386.

(2) فالديمار الثاني Waldemar II: حكم الدانمارك (599-639هـ/1202- 1241م) إلى أن نجح في أن يحقق انتصارات كبيرة على العناصر السلافية والإستونية Esthonians، حتى تمكن= =من توسيع ممتلكاته، إلا أن أمراء ألمانيا المجاورين اتحدوا للقضاء على سيطرة فالديمار الثاني. عن ذلك انظر:
سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص607.

(3) Grant of Market Privileges to Lübeck by king Waldemar, in: Cave, Coulson, A Source Book, P. 223.

بها كان يعمل به في الماضي وحتى اليوم ماعدا ما يخص الزرقة الدموية bla and blot[1]، وهذا بعيداً عن قضاء المواطنين ومن هؤلاء الذين يعيشون طبقاً لقانون المدينة. ولكن على كل شخص أن يقدم ضريبة Thelony، لموظفي الملك حتى يمكنهم بيع القماش بالذراع[2]، ويمكنهم بيع أشياء أخرى بالوزن، وهذا يرجع إلى أن الملك منحهم الحريات التي يجب أن يعملوا بها في أسواقهم الحرة[3].

سمح الملك فالديمار لمواطني لوبيك بعقد اجتماعهم الرسمي وتطبيق قانون لوبيك في سوق سكانور. وفي النصف الأخير من القرن الثالث عشر، أصبحت لوبيك والمدن الوندية الأخرى قادرة على تأمين إعفائهم من الرسوم المحلية المنظمة لحطام سفن البحر في المدن والبلدان الاسكندينافية، وحقهم في الحصول على حطام السفن الذي يتم إنقاذه من البحر[4]. حيث أكد فالديمار لمواطني لوبيك، بأنه في حالة وفاة أي مواطن منهم داخل السوق فإن ورثته المتواجدين معه يمكنهم الاستيلاء على بضائعه، أما في حالة عدم تواجد ورثه له داخل السوق فإن محامي الملك أو المواطنين الأمناء يمكنهم أخذها وإعطائها للورثة، ولا يكون لمحامي الملك أي سلطة قضائية في ذلك[5].

وهكذا أخذت لوبيك والمدن الألمانية الأخرى تعمل جاهدة للحصول على الكثير من الامتيازات التي تؤمن تجارة الهانزا في الخارج وكذلك الإعفاءات الضرائبية وغيرها من الامتيازات التي تمكن من تحقيق الأمن لهم ولتجارتهم ومن احتكار التجارة في نفس الوقت متكاتفين جميعاً ضد من

---

(1) bla and blot: مصطلح يعني جريمة كانت تعرف بـ Blue and Bloody أي الزرفة الدموية. والتي يصطلح عليها بـ bla and blot. عن ذلك انظر:
- Cave, Coulson, A source Book, Glossory, P. 424.

(2) الذراع: تساوي 54.04سم. وهناك عدد كبير من الأذرع، إذ أن مقاييس الذراع تختلف من دولة لأخرى. عن ذلك انظر:
فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ص83-84.

(3) Sartorius, Urkundliche Geschichte, Vol. II, A. D. 1203, P.12.
- See Also: Asfchenfeldt (ed.), urkundenbuch der stadt Lübeck, Erster theil, PP.20-21.

(4) Postan, the Cambridge economic History, Vol. III, PP. 386-387.

(5) Grant of Market Privileges to Lüback by king Waldemar, in: Sartorius, Urkundliche Geschichte, Vol. II, A. D. 1203, P. 12.
- See Also: Asfchenfeldt (ed.), urkundenbuch der stadt Lübeck, Erster theil, PP.20-21.

يحاول انتزاع أي من هذه الامتيازات منهم أو انتقاص أي من هذه الحقوق دون أن يحدث بينهم أي صراع حربي. إذ شعرت هذه المدن بحاجتها إلى الترابط للمحافظة على حريتها واستقلالها[1]. ومن هنا قام الأباطرة والملوك بمنحهم هذه الحريات مقابل ما حصلوا عليه من أموال من هذه المدن، من هؤلاء الإمبراطور فريدريك الثاني Frederick II، في القرن الثالث عشر الميلادي، الذي أدرك أن ما طلبته المدن من الحرية الدستورية كان لمصلحته الاقتصادية. ففي مقابل منحهم البراءات والدساتير تسابقت المدن لدعمه مالياً وعسكرياً في حروبه ضد أعدائه. والثمن الذي طلبه منهم تنوع حسب قوتهم وظروفهم الاقتصادية، وقد حل ما حصل عليه منهم من أموال محل الإيرادات الملكية التي بددها كلها[2]. لذلك صدرت هذه الوثيقة من الإمبراطور فردريك الثاني في عام 639هـ/ 1241م، وقد تفاوت المبلغ المطلوب من كل مدينة؛ بيد أن المبلغ الإجمالي وصل بالعملة الكولونية إلى حوالي ألف وأربعمائة وثمان وثمانين ماركاً[3].

وإذا كانت الهانزا قد سيطرت على تجارة البلطيق؛ إلا أنها لم تبدأ تجارتها هناك. ففي الوقت الذي بسط الألمان نفوذهم على التجارة البرية في المناطق الواقعة تحت نفوذهم كانت التجارة في البلطيق يتقاسمها العديد من التجار لعدة قرون من بينهم الاسكندينافيين والروس وأهل جوتلاند. ومنذ البداية كانت هذه الجزيرة[4]، تمثل مركزاً لتجارة البلطيق قبل التوسع الألماني الكبير على

(1) قد أدى ذلك إلى مولد "عصبة الراين" حوالي عام 1254م، التي تألفت من عدة مدن أهمها مينز، وورمز، وبازل، وستراسبورج، كما أن التحالف الذي تم بين هامبورج ولوبيك حوالي ذلك الوقت (1241م) وضع أساس العصبة الهانزية. عن ذلك انظر:
- سعيد عاشور، تاريخ أوربا، ج1، ص405.
- عن بعض صور هذه الامتيازات انظر:
- Asfchenfeldt (ed.), urkundenbuch der stadt Lübeck, Erster theil, PP.199-201.

(2) Cave, Coulson, A source Book, P. 375.

(3) Keutgen ,Urkunden Zur Städtischen Verfassungsgeschichte, A. D. 1241, P. 489.

(4) من خلال إلقاء نظرة على الخريطة يتبين أسباب أهمية جزيرة جوتلاند. إذ كانت الملاحة تسير عادة بالقرب من الشاطئ، بينما هذه المنطقة قد تمتعت بشكل طبيعي بالكثير من التعاريج الملائمة للمكان على الطريق المؤدي إلى فنلندا Finland، ليفونيا Livonia، السويد Sweden. يتضح من سجلات الألمان أنهم كانوا يمثلون القوة العظمى على الجزيرة وأنهم منحوا امتيازات خاصة.من ذلك ما قام به البابا هنريوس الثاني Honorius II=

السواحل الجنوبية لبحر البلطيق. لكن في القرن الثاني عشر الميلادي، قام التجار الألمان من مدينة لوبيك التي كانت مدينة حديثة النشأة بالدخول في تجارة البلطيق وتأسيس مستوطنة قصيرة الأجل في ويزبي Wisby في عام 556هـ/ 1160م. ومن هذه القاعدة تطورت الهانزا Hansa إلى منطقة التجار الرئيسيين وتفوقت لوبيك على جوتلاند Gothland وأصبحت مركزاً إدارياً لتجارة البلطيق[1].

وقد ظهر، في الشرق الأقصى على طول سواحل البلطيق، معقلاً آخر لقوة الهانزا في المدن البروسية ظهر في منظمة الفرسان التيوتون Teutonic Order[2]، فبعد تأسيسها في عام 586هـ/ 1190م تولى النظام مسئولية الأراضي الشرقية للبلطيق، وأصبح من أكبر الجهات المسئولة عن الهانزا سياسياً[3].

= ، الذي منحهم الحماية لمدينتهم والميناء من ويزبي، مقابل قيامهم بلعب دور في تحويل الأمم الوثنية إلى المسيحية. عن ذلك انظر:

- Zimmern, The Hansa towns, PP. 24-25.

- عن قيام تجار الهانزا بتحويلهم عن الوثنية انظر أيضاً:
- نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج2، ص122.

(1) Quesenbery, the Institutional Success of the German Hansa, P. 11.

(2) منظمة الفرسان التيوتون: هي واحدة من أهم المؤسسات الدينية الحربية التي ظهرت في الأراضي المقدسة أثناء الحروب الصليبية، تأسست خلال الحملة الصليبية الثالثة عام 1190م عندما تولى أمرها السيد هرمان فون سالزا 1210-1239م استطاع بما لديه من خبرات أن ينهض بها ويجعلها من أهم التنظيمات الألمانية، حصلت في عهده على اعتراف وحماية البابوية والإمبراطورية المقدسة وملوك أوربا. وفي عام 1226م قام الدوق البولندي كونراد حاكم مازوفيا بتوجيه الدعوة للتيوتون بغزو بروسيا الوثنية حتى تم غزوها تماماً عام 1283م بعد أكثر من خمسين عاماً من الحروب وبعدها بذلوا جهداً عسكرياً كبيراً في الاستيلاء على لتوانيا، لكنهم فشلوا لاتحاد لتوانيا مع بولنده في مواجهة التيوتون، مما أدى إلى سقوط هذه المنظمة بعد ظروف سياسية، وحروب عديدة وذلك عام 1466م. عنها انظر: محمد السيد صديق رشوان، منظمة الفرسان التيوتون في شرق أوربا.

(3) Quesenbery, the Institutional Success of the German Hansa, P. 11.

- كان النظام التيوتوني؛ له موقعاً فريداً بين قوى البلطيق، حيث كان واقعاً في منطقة إقليمية وفي نفس الوقت عضواً من أعضاء المجموعة الهانزية. وقد ازدهر هذا الموقع أكثر وأكثر حيث انتشرت التجارة البروسية، بسرعة كبيرة في أواخر القرن الرابع عشر وظهر النظام كموقع تجاري ضخم يجتذب تجار المدن البروسية التي كانت تنمو بمعدل سريع. عن ذلك انظر: =

إذاً كانت هناك امتدادات مهمة للهانزا، مثلت ركائز لها وأعطتها القوة في نفس الوقت تمثلت، في كولونيا Cologne، ومنظمة الفرسان التيوتون، بالإضافة إلى لوبيك التي مثلت رأس العصبة الهانزية وقد تجنبت المدن الألمانية عموماً الصراع فيما بينها والدقة في اختيار أعضائها.

كان يتم اختيار أعضاء المجلس المحلي للعصبة، من بين المدن الأربع المهمة للعصبة، وهم ويزبي Wisby، ولوبيك Lübeck، وسست Soest[1]، دورتموند Dortmund[2]، وكانت كل منها بمثابة مفتاح الكنز المشترك. والتي من خلالها تم إرساء قواعد المجلس المشترك، حيث كان هؤلاء الأعضاء يقومون بالتنفيذ الجبري، والدقة والصرامة في التدقيق. فعلى سبيل المثال، ووفقاً للمبدأ الخاص بالقوانين التيوتونية Teutonic القديمة، فإن المدينة مسئولة إذا ما تعرضت أحد سفن التجار للغرق أو تعرض التاجر للسرقة في نطاق المدينة فكان جميع أعضاء مجلس العصبة يتكاتفون ويتحدون لمساعدة هؤلاء المتضررين حتى يتمكنوا من استرداد سلعهم المسروقة[3].

وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً من أن هذه المدن كانت تسعى لتأمين نشاطهما التجاري من

= - Postan, the Cambridge, economic History, Vol. III, P. 390.

- قد قامت جماعة الفرسان التيوتون بدور كبير في نشر المسيحية على شاطئ بحر البلطيق، إلى جانب امتلاكها لثروات ضخمة، وكذلك الرجال الذين كرسوا أنفسهم لخدمة أهدافها الخاصة في المراحل الأولى من نشأتها. الأمر الذي أدى لانتشارها الواسع وتمتعها بالصفة الدولية. فقد حازت على مكانة هامة في مملكة بيت المقدس الصليبية الأمر الذي مكنها من أن تحوز على حق الحماية الإمبراطورية من الإمبراطور فردريك الثاني في الشرق وعند عودتها كذلك. عن ذلك انظر:=

= - حسن عبدالوهاب حسن، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالي 1190-1291م/ 586-690هـ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م، ص32، 60.

- عند عودة هؤلاء من الأراضي المقدسة، أخذوا من فردريك الثاني في عام 1226م حقوق سيادة في بروسيا شبيهة بالحقوق التي يتمتع بها كل الأمراء الألمان. عن ذلك انظر:

- نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، جـ/2، ص124.

(1) سست Soest: تقع مدينة سست شمال غرب ألمانيا الغربية، في سهل خصيب يسمى Soester Boerde، وتمتد إلى الجنوب من نهر Lippe. عن ذلك انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. IX, P.322.

(2) دورتموند Dortmund: تقع مدينة دورتموند في الركن الشمالي الغربي من ألمانيا. عن ذلك انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. III, P.633.

(3) Zimmern, the Hansa towns, P. 28.

خلال التعاون والاتحاد وتجنب الصراع والوقوف معاً ضد القوانين العقيمة.

على أن تنفيذ ذلك لم يكن بالمهمة السهلة دائماً للمدن فكان لابد أن يتكاتفوا معاً مع الأخذ في الاعتبار أنه حتى أوقات قريبة كان الجميع حتى الكنيسة ترى أن حطام السفن والمطروحات تعتبر حقوقاً مشروعة لها؛ بل إن حصيلة بعض الأديرة والكنائس تكونت بشكل واضح من هذه الأشياء[1]. كما أن السلطة البابوية التي كان لها حق الحرمان الكنسي والطرد، لم تستطع خرق هذه القوانين الفاسدة والقاسية لفترة طويلة. فكل ما يلقي به الموج على الشاطئ يصبح غنيمة، عرفت بمصطلح تم التعارف عليه مصطلح Strand gut (أي خاصية أو ملكية الشاطئ)، وكان يعتبر بمثابة هبة من الله. فكان السكان على شواطئ بحر البلطيق، من السذاجة حتى أنهم كانوا يدعون الله في صلواتهم، أن ينعم عليهم بوفرة ما يقذفه الشاطئ لهم[2]. الأمر الذي يجعلنا ندرك مدى الصعوبات التي واجهت المدن الألمانية من أجل تغيير بعض القوانين والأعراف العتيقة، مما جعلهم يتحدون معاً من أجل التخلص منها.

طالبت لوبيك في عام 686هـ/ 1287 من مدينة ريفال Reval إعادة الممتلكات للذين تقطعت بهم السبل، وذكرت بصراحة من خلال محافظ هذه المدينة، الذي كانت ترسل إليه العديد من الرسائل الطويلة والكثيرة عبر البحار، من أجل استعادة البضائع الخاصة بهم[3].

إذاً فإن هذا الأمر تطلب الكثير من الوقت من أجل إنجازه ليس فحسب في الدول الخارجية التي كانت تتاجر معها المدن الألمانية؛ بل وإنما أيضاً المدن التي ارتبطت معها بمعاهدات أو تم الاتحاد معها.

ومع استمرار محاولاتها المستمرة والثابتة حصلت المدن الألمانية على ذلك بإرادتها

---

(1) Zimmern, the Hansa towns, P. 28.

- لذا فإن المدن كانت تطالب من البابوية إصدار مراسيم ضد حق الشاطئ القائم. عن ذلك انظر:

- Asfchenfeldt (ed.), urkundenbuch der stadt Lübeck, Erster theil, PP.604-606.

(2) Zimmern, the Hansa towns, P. 28.

(3) Zimmern, the Hansa towns, PP. 28-29.

- من ذلك ما حصل عليه أهل لوبيك من دوق Pommern، حيث منحهم الأمن عبر أراضيه، وتحريرهم من حقوق الشاطئ وذلك في عام 1250م. عن ذلك انظر:

- Asfchenfeldt (ed.), urkundenbuch der stadt Lübeck, Erster theil, P.155.

وتصميمها، وبطبيعة الحال كانت ممارستها لأول مرة تطبق على أعضاء من نقابتهم. وكان على المدينة المتعثرة دفع غرامة تقدر بحوالي من مائتين إلى ثلاثمائة جنيهاً لصندوق الاتحاد المشترك، وفي حال تكرار الأمر، تتعرض للتهديد بالطرد من المجتمع وكان هذا العقاب يسمى Un Hansing، حتى أنها استخدمته عدة مرات[1].

يتضح لنا مما سبق أن هذا الاتحاد الكونفدرالي (للعصبة) نظم بحكمة حتى أنه تطور تطوراً سريعاً حتى وصل عدده عام 700هـ/1300م إلى ستين مدينة بالفعل من الأراضي المنخفضة للراين Lower Rhine، إلى جانب بروسيا Prussia وليفونيا Livonia[2]، وفي وقت لاحق شملت أكثر من مائة، وذلك في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وقد أصبح اسم الهانزا Hansa يثير الخوف والفزع.

وقد انضم للاتحاد الألماني مدن لوبيك Lübeck، وهامبورج Hamburg، بريمن Bremen، Stade[3]، Kiel[4]، فيسمار Wismar، وروستوك Rostock،

(1) Zimmern, the Hansa towns, P. 29.

- قد كان الحرمان الذي تفرضه الهانزا أشد نكاية من الحرمان الذي يفرضه البابا أو الإمبراطور. فالمدينة التي تقع تحت طائلة الحرمان تخسر تجارتها في لمح البصر. مثلما حدث مع مدينة بريمن Bremen عام 1356م، لأن أحد مواطنيها تاجر مع الفلاندرز في وقت كانت التجارة مع الفلاندرز محظورة. ونفس هذه الحادثة وقعت مع مدينة برونسويك Brunswick، عند تزعم الصناع تمرد وعصيان ضد العصبة. عن ذلك انظر:

- Zimmern, The Hansa towns, PP. 83-85.

(2) ليفونيا Livonia: تقع إلى الشمال الشرقي من بحر البلطيق، حالياً شمالي لاتفيا وجنوبي استونيا، وصلها المنصرون والتجار الألمان في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وتمكنوا من تنصير غالبية سكانها. عن ذلك انظر:=

- = محمد السيد صديق، منظمة الفرسان التيوتون، ص36، حاشية (1)، ص55 وما بعدها.

(3) Stade: تقع في بلدة هانوفر Hanover بألمانيا، على نهر Schwing على بعد أربعة أميال من تقاطع الإلب. عن ذلك انظر:

- Geographical dictionary, P.422.

(4) Kiel: تقع مدينة كييل شمال شرق ألمانيا الغربية، وهي ميناء على Kieler Förde، وتعد بمثابة مدخل بحر البلطيق الغربي، عند الطرف الشرقي من قناة كييل Kiel Canal. انظر:

- The New Encyclopedia, Vol. V, P.69.

Stralsund، Greifswalde، شتيتن Stettin، كولبيري Colberg، ستارجارد Stargard، سالزويدل Salzwedel، مجدبرج Magdeburg، برونسويك Brunswick، هيلدشيم Hildsheim، هانوفر Hanover، وليونبرج Lüneburg، أوزنابروك Osnabrück، مونستير Münster، كوزفيلد Coesfeld، دورتموند Dortmund، سوزين Söest، فيزل Wesel، دويزبرج Duisburg، كولونيا Cologne، وغيرها (من مدن ألمانية)، والحلفاء من ألمانيا – ثورن Thorn، دانزيج Danzig، وكونزبرج Königsberg، ريجا Riga، ريفال Reval، نرفا Narva، ويزبي Wesby، ستوكهولم Stockholm، ونوفجورود Novgorod، وغيرهم. وقد قام هؤلاء التجار المغامرين بعد ذلك بتمديد تحالفهم إلى المدن على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط.

تقدمت إلى الاتحاد، فرنسا، وكاليه Calais، روان Roune، سانت مالو St. Malo، بوردو Bordeaux، وأنتويرب Antwerp، ومرسيليا Marseille، وأسبانيا Spain، وبرشلونة Barcelona، إشبيليه Seville، قادس Cadiz، وإنجلترا، ولندن، البرتغال Portugal، ولشبونة Lisbon، والبلدان المنخفضة، وبروج Bruges، روتردام Rotterdam، أوستند Ostend، دونكيرك Dunkirk، وإيطاليا، ميسنيا Messina، ليفورنو Leghorn، نابولي Naples.

وقد بقيت لوبيك Lübeck على رأس الاتحادية بأسرها. وكان النواب من المدن يجتمعون في أيام الهانزا Hanse العادية، حيث تُعقد الجمعيات[1].

يتضح لنا مما سبق أن المدن الألمانية قد أدركت أهمية التحرر من سيطرة الأمراء الإقطاعيين، وضرورة العمل على تعزيز نفوذها وامتيازاتها كذلك تحقيقاً لمصالحها الخاصة ونظراً لظروف الفوضى السياسية التي أحاطت بالإمبراطورية في ظل الصراع بين الأمراء لتحقيق مصالحهم الشخصية، إلى جانب انشغال الأباطرة في الخارج من أجل تحقيق المكاسب الشخصية، ومن هنا أخذت المدن في تشكيل اتحاد الهانزا، الذي أخذ يعمل على تجنب الصراع الحربي فيما بينهم حفاظاً على المصالح التجارية وتجنباً للصراعات والحروب كذلك.

(1) Keppen, The world in the middle ages, Vol. II, PP. 482-483.